الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٢) ـ السنة الحادية عشرة ـ غرة صفر ١٣٩٥ هـ ـ فبراير ١٩٧٥ م

اقرأ في هذا العدد

النصر المعقود فى السماء	للسيد وكيل الوزارة المساعد	٤
حديث الوعى	لرئيس التحرير	٦
لغة القرآن	للدكتور على محمد حسن	٨
آباء صدق	للشيخ أحمد البسيونى	١٦
شهادة المرأة فى القرآن الكريم	للأستاذ محمد عزة دروزة	٢٢
من مفتريات اليهود على الأنبياء	للدكتور أحمد الحوفى	٢٦
نحو اقتصاد اسلامى /٤	للدكتور ابراهيم فؤاد أحمد على	٣٠
المساجد والآثار الاسلامية فى الجزائر	اعداد : عبد الستار فيض	٣٦
الصبر فى الاسلام	الأستاذ محمد كمال الدين	٥١
المائدة	للتحرير	٥٨
العقل وميزانه فى الاسلام	للأستاذ عبد الكريم الخطيب	٦٠
الفتاوى	للتحرير	٧٢
دفاع عن الشريعة الاسلامية	للأستاذ سعد صادق محمد	٧٤
الأسرة	للشيخ سعد المرصفى	٧٨
المخدرات	للدكتور أحمد شوقى الفنجرى	٨٠
بريد الوعى	اعداد : عبد الحميد رياض	٨٨
أعلام الطب	للدكتور محمد أبو شوك	٩٠
منهج القرآن الكريم (كتاب الشهر)	عرض الأستاذ محمد عبد الله	٩٦
بأقلام القراء	للتحرير	١٠١
قالت الصحف	للتحرير	١٠٣
عودة المهاجر (قصة) /٢	للأستاذ عبد اللطيف فايد	١٠٥
الأخبار	اعداد : ف. م	١١٠
(السيدة زينب رضى الله عنها)	اعداد الأستاذ فهمى الامام	١١٢
المواقيت	للتحرير	١١٤

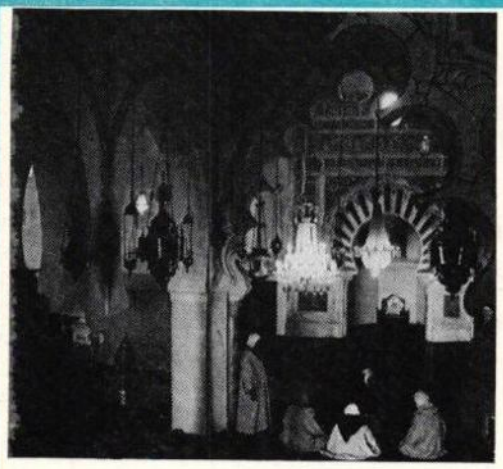

صـــورة الغـــلاف

روعـــة الفـــن الاســـلامى

تبـــدوا واضحـــة فى أروقـــة

جامـــع تلمســـان بالجـــزائر

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافيـــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢٢

غرة صفر ١٣٩٥ هـ ــ فبراير ١٩٧٥ م

هـــدفها : المـــزيد من الوعى ، وايقـــاظ الروح ، بعيـــدا عن الخـــلافات المذهبيـــة والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكـــويت في غـــرة كل شـــهر عـــربى

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

النصر المعقود في السماء

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بمطلع السنة الهجرية الجديدة ١٣٩٥ .. وذلك بمسجد السوق الكبير وقد تحدث فى الحفل العديد من العلماء والوعـاظ ونقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الاحتفال فى حينه ..

وفيما يلى حديث الاستاذ عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد فى وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم .. أحمد الله وأصلى وأسلم على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعـــد ،،،

فالعالم الاسلامى يحتفل فى هذه الليلة المباركة بذكرى هجـرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينـة ، ومهما كان تصوير الناس لهذه الهجرة ، فقد صورها القرآن الكريم بصورة النصر المعقود فى السماء والمؤيد بجنود الله من أجل اعلاء كلمة الله ، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول : « الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحـزن إن الله معنـا ، فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وهكذا ، شاءت إرادة الله العلى القدير أن تكون هذه الليلة نقطة انطلاق نحو اعزاز الحق وازهاق الباطل وإيذانا باقامة دولة ، وسيادة أمة ، وبداية تاريخ .

حقـاً ، أيها الأخوة المؤمنون ، كانت الهجـرة نصرا من الله لرسوله على قوم يدعوهم الى النجاة فيدعونه الى النار ، يدعوهم لمـا يحييهم ، فيتآمرون على قتله ، ويريدون أن يتفرق دمه فى القبائل ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

فلولا الهجرة لظلت الدعوة حبيسة فى مكة ، وظل صاحب الدعوة يواجه عواصف الحقـد وأخطار التهديد والوعيد ، لولا الهجرة لعاش المسلمون أفرادا بلا أمة لا مجـد لها ولا تاريـخ .. فكانت الهجـرة الفجر الجديد الذى أطل على العالم يبدد ظلام الشرك وأوهام الباطل .

وكانت الهجـرة إعلانا بمولد عقيـدة تهدى الحيـارى وتحمى المستضعفين وتصون الحيـاة من السجود لغير الله وتقـدم للبشرية موازين الحق والعدل والمساواة والإخاء والسلام .

وإذا كان المهاجرون قد شرفوا وجه التاريخ وفازوا برضوان الله وجميل ثنائه لأنهم بذلوا فى سبيل الله كل شىء وهان عليهم كل شىء ، وتركوا أموالهم للسلب ، وديارهم للنهب ، وأولادهم للفتنـة ، فاليوم لم يعد مطلوبا منا أن نهاجر . ولكن مطلوب منا أن نجاهد . فقد قـال الرسول صلى الله عليه وسلم «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » .

مطلوب منا أن نحافظ على مكاسب الهجرة وأن نسترد كل ذرة من أرضنا وأن نستعيد كل شبر ضاع منا .. مطلوب منا أن نضحى

بالكثير من أجل عزتنا وكرامتنا .. أن نضحى بالخلافات والمنازعات لنضع حدا للمؤامرات ضدنا .. أن نضحى بالراحة والترف لنسترد ماء الوجه والمقدسات .. لنثبت من جديد أننا خير أمة أخرجت للناس .. وأننا من سلالة أبطال لم يعرفوا الشعور بالقلق واليأس والهزيمة وإنما باعوا نفوسهم وأموالهم بان لهم الجنة .

أيها الأخوة المؤمنون .

إن المؤامرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبس أو النفي أو القتل تحولت بعد أن لحق بربه الى مؤامرة على الاسلام وأهله .. لها فى كل يوم وجه .. ولكل وجه قناع .. وتتحول من كيد الى فتنة .. ومن فتنة الى حروب .. ومن مشكلة فلسطين الى مشكلة الشرق الأوسط .. ومن قتال فى أرتيريا الى مذابح فى الفلبين ومن قناة السويس الى آبار النفط .. وذلك ، بتخطيط حاقد من جانب الصليبية بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية . .وليس لنا من سبيل أمام كيد الشرق والغرب لأمتنا ، إلا الاعتصام بحبل الله والتمسك بدينه ، والاستبسال في سبيله ، وأملنا فى الله كبير أن يكتب النصر لنا وأن تكون بلادنا مقبرة للمعتدين .. فلنعتصم أولا وأخيرا بالله ولا نستعين إلا به فهو وحده مفرج الكرب .. وهو وحده كاشف الضر وهو وحده ناصر المؤمنين .

وأنتهز هذه الفرصة لأبعث من فوق هذا المنبر أطيب التهانى الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والى سمو ولى عهده الأمين والى شعبنا الأبى وحكومتنا الرشيدة والى الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها .. ضارعا الى الله سبحانه أن يوفق أمتنا الى وحدة الصف وجمع الكلمة والبذل والتضحية وأن يعيد هذه الذكرى المباركة وقد تحررت الأرض والمقدسات ورجع الغريب الى وطنه وعاد الحق الى أصحابه وتحققت بشارة القرآن الكريم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين .

اللهم أعنا على أعدائك وقتلة أنبيائك .. اللهم أنصر الإسلام والمسلمين وايد بفضلك كلمة الحق والدين وأخرجنا من معارك الجهاد برؤوس مرفوعة ونصر مبين .

اللهم ارحم شهداءنا وأسكنهم فسيح جنتك .. يا أرحم الراحمين ، ووفقنا للعمل بالقرآن العظيم واتباع سنة خاتم النبيين .

وكل عام وأنتم بخير .. والسلام عليكم ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

فضل الله على الناس

فان من نعمة الله علينا نحن المسلمين وعلى الناس جميعا ان شرع لنا سبحانه الاسلام العظيم ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، فالاسلام هو استسلام لله جل وعلا واخلاص القلب والعمل له . فالاسلام حينما يكون بهذه الصورة وهو الاستسلام انما يقوم على دعائم تؤكد الطاعة والولاء لرب العالمين ، ذلك ان لهذا الدين كل الفضل فى جعل الناس فى استبانة ووضوح من امرهم فى الحياة وبعد الممات ، فما من منهج او مذهب من مذاهب الحياة الا وهو ناقص فى تعريف الانسان بنفسه ، ولكن الاسلام يوضح لهذا الانسان سبب خلقه فى الارض ويعرفه بربه ويبين له موقفه فى هذه الحياة من الكون ومن الناس ثم مصيره بعد ان يموت ، وانه ليس هناك من مبدا او منهج يقوم على هذا الاحتضان التربوى لهذا المخلوق ، سوى الاسلام حيث يهتم بالفرد من قبل ان يولد الى بعد ان يموت ، وهذا فضل عظيم جدا من فضائل الاسلام على العالمين .

ومن فضل الاسلام على الناس انه ارشدهم الى كل خير ، قال صلى الله عليه وسلم: (تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ما من خير الا وامرتكم به وما من شر الا ونهيتكم عنه لا يزيغ عنها الا هالك) وهى نعمة تستوجب الشكر والعرفان ، بفضل العلى الكبير سبحانه ، فلا يغيب عنا توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه فى كل شىء وهى ناحية اخرى من فضل الاسلام العظيم ، تلك هى اعتناؤه بجميع ما يخص ويتعلق بهذا الكائن البشرى سواء كان فى شئون العبادة ، فهناك المراعاة لشروط كل ركن او عمل شرعه لنا البارىء سبحانه او كان الشان من شؤون العادات كزيارة الاقارب ، او الاكل او الشرب ففى الزيارة الحث على صلة الارحام

مع مراعاة الا يثقل الشخص على الناس ، وفى الاكل عدم الاسراف والاكل باليد اليمنى والتسمية ، وهكذا فى كل شأن من شؤون الحياة ، لا بد من شكر الله والاستعانة به ان كان الأمر خيرا والتعوذ به سبحانه ان كان الأمر شرا وملاحظة التسمية فى كل عمل يقوم به المسلم .

ومن كبير فضل الاسلام اضافة الى حث الناس على المساواة فيما بينهم وأنهم عباد لرب العباد تبارك وتعالى ، اضافة الى ذلك بيان الاسلام طبيعة هذا المخلوق وأن الله خلقه وميزه على كثير ممن خلق ، والاكثر من ذلك أنه خصه بالتكريم ، وهو مقام كبير ومنزلة عظيمة كتبها البارىء سبحانه لهذا المخلوق الضعيف فقال جل وعلا : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

انظر فضل الله العظيم علينا فى هذه الآية وهو تيسير البر والبحر وتيسير الطيبات ، وهذا المعنى يدل على أن الله سبحانه سخر لنا كل شىء كما قال سبحانه : ((وهو الذى سخر لكم ما فى الأرض جميعا) وهذا يتطلب منا الطاعة والانقياد ، فان ذلك هو الشكر والعمل الذى حثنا عليه سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى اقواله وأعماله ، فجدير بنا أن نكون كذلك .

ما ذكرناه بعضا من فضل الاسلام العظيم علينا ذلك انك لو بحثت كل ناحية من نواحيه ترجع بالاعجاب التام ، والايمان الصادق بان الاسلام هو الدين الحق ، الذى يجب أن يطاع .

ولا عجب ، فهو دين رب العالمين .

أخى المسلم لنعلم بان التزام الاسلام وتطبيقه استجابة لأمر الله وتحقيق لفضل الاسلام علينا حيث يقول سبحانه : (يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

فالى طاعة فيها حياة .. الى طاعة فيها فلاح .

رئيس التحرير

بدر سليمان القصار

للدكتور على محمد حسن

نقصد بالفاصلة التى نبحث عن سرها البلاغى تلك التى تكون تذييلا لمضمون آية كريمة ، وكان — فيما يقع فى وهم واهم — من الممكن ان تحل فاصلة اخرى محلها ، اما الفاصلة التى تكون جزءا من جملة الآية فلا بحث لنا عن سرها البلاغى اذ لا يمكن الاستغناء عنها فى تمام المعنى ، وان امكن البحث فيها من نواح اخرى .

فنحن — مثلا — نبحث عن الفواصل فى قوله تعالى — من سورة النحل — : « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون » .

اذ يلفت نظرنا ، ونظر كل باحث فواصل هذه الآيات (يتفكرون — يعقلون — يذكرون) ، ونسأل لم ختمت كل آية بالفاصلة التى ختمت بها دون غيرها .. ؟ ومثل هذه الفواصل فى القرآن الكريم كثير .

ولكننا لا نبحث هذا البحث البلاغى عن الفاصلة الأولى فى هذه الآيات (فيه تسيمون) من حيث انها فاصلة ، لأنها من صلب الجملة ، وكذلك — مثلا — لا نبحث هذا البحث عن فواصل سورة (الحجر) لأنها كلها أركان فى آياتها ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون .

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » . ومثل هذه الفواصل فى القرآن الكريم كثير أيضا .

وبعبارة أخرى : من فواصل القرآن ما يمكن أن يسأل عنها : لماذا كانت هذه الفاصلة بالذات ؟ بل ربما سأل باحث : لم أوثرت هذه الفاصلة على غيرها ؟ بل ربما قال جاهل ضال : الم يكن غيرها أولى بها فى هذا المكان ؟ ولذلك نعنى ـ كما عنى من قبلنا ـ بالبحث عن الأسرار البلاغية التى أوجبت أن تكون هذه الفاصلة هى المتعينة فى هذا الموضع، ولا يمكن ـ بلاغة ـ أن تحل فاصلة أخرى محلها ومن فواصل القرآن ما لا يتجه فيه شيء من هذه الاسئلة، فليست من مجال بحثنا هذا .

وفى آيات سورة (الحجر) نجد مجالا آخر لبحث بعض الفواصل ، تلك التى وقعت أوصافا لموصوفات سبقتها : (شيطان رجيم ـ شهاب مبين ـ شيء موزون ـ بقدر معلوم ـ حما مسنون ـ جزء مقسوم ـ بغلام عليم ـ لبإمام مبين ـ الصفح الجميل ـ الخلاق العليم ـ القرآن العظيم ـ النذير المبين) .

فقد يعنى الباحث أن يقف عند كل وصف من هذه الاوصاف ليسأل : لم أوثر هذا الوصف دون غيره .. ؟ وسيجد ـ ولا شك ـ اجوبة مقنعة واضحة .

وكل من هذين النوعين يسمى فاصلة ، لأنها من التفصيل ، وبها يتم المعنى ، وان كان المعنى الاولى قد تم قبلها ، وسميت فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، وهى مأخوذة من قوله تعالى : « **كتاب فصلت آياته** » (فصلت آية ٢) . وقوله سبحانه : « **ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى** » (فصلت آية ٤٤) ، وقوله عز وجل : « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » (هود آية ١) .

وقبل أن آخذ فى بيان أسرار

بعض الفواصل القرآنية ، والتى ستكون فى هذا البحث من نوع خاص ، هو تلك الفواصل المتقاربة التى تتجاور فى آيات متتالية ، والتى يكون اقترانها مدعاة للتساؤل المتعطش الى المعرفة ليصل الى الجواب الذى يروى الغلة ويثلج الصدر ، كما هو الشأن فى آيات الأنعام التى ذكرت فى أول هذا الفصل .

أقول : قبل الأخذ فى بيان الأسرار البلاغية لمثل هذه الفواصل أحب أن أنبه الى أمور تبينتها بعد تأمل دام طويلا .

الأول : نبه العلماء الى أن سور القرآن الكريم تختم بمثل المعنى الذى تفتح به ، وقد كان ذلك واضحا فى كثير من السور ، وخفيا فى بعضها ، ومع خفائه حاولوا أن يلتمسوا صلة ما بين أول السورة وآخرها .

فمن أمثلة ذلك سورة (البقرة) فى أولها حديث عن القرآن وعن المتقين : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ، وفى آخرها : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » . وسورة النساء . جاء فى مفتتحها قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » وفى منتهاها : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » الى آخر الآية . « والله بكل شىء عليم » .

وفى أول سورة (يوسف) : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) ففى الآية قص القصص على الرسول ، بوحى القرآن اليه ، وفى آخرها نفس الأمرين : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » فعند بعض المفسرين ان المراد بقوله تعالى : « ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء » القرآن الكريم ، وأول سورة ابراهيم : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ، وفى آخرها : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب » . وفى سورة الواقعة ذكر لأصناف ثلاثة أصحاب الميمنة ، والسابقون ، وأصحاب المشئمة ، وفى آخرها ذكر للمقربين وأصحاب اليمين ، والمكذبين الضالين . وهذا كثير لمن تأمل . حتى السور التى ابتدئت بالقسم تكرر فى أولها وآخرها المقسم عليه ، فمثلا فى سورة القيامة : « لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة . أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على ان نسوى بنانه . بل يريد الانسان ليفجر أمامه . يسأل أيان يوم القيامه » فالمقسم عليه البعث ، وفيه ما يشير الى غفلة الانسان ، وقد أعيدت هذه المعانى على جهة التوكيد لما سبق : « أيحسب الانسان أن يترك سدى . الم يك نطفة

ما يريد » وآخرها: «لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير » . والذى هو على كل شيء قدير هو الذى يحكم ما يريد .

والفاصلة الأولى فى سورة (نوح) « عذاب اليم » والأخيرة : « ولا تزد الظالمين الا تبارا » والمناسبة واضحة بين الفاصلتين ، وفى أول سورة مريم « نداء خفيا » وفى آخرها : « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » .

وسورة « الانفال » بدئت بقوله تعالى : (يسألونك) وختمت بقوله سبحانه : (ان الله بكل شيء عليم) والصلة أقوى ما تكون بين السؤال والعلم .

وفى سورة (الدهر) ملاحظة أدق ذلك أن أولها : « هل أتى على الانسان حين من الدهر » فقد (اتفق المفسرون — كما يقول الرازى — على أن (هل) ههنا وفى قوله تعالى : « هل أتاك حديث الغاشية » (بمعنى قد) ولكن بعض المفسرين قدر قبلها الهمزة أى : « أهل أتى على الانسان » وجعل الاستفهام للتقرير ، فالكلام خبر على كل حال ، وقد جاء فى صورة الاستفهام ، فاذا كانت الفاصلة قبل الأخيرة فى السورة « ان الله كان عليما حكيما » جاز لنا أن نلتمس ربطا ما بين أول السورة وآخرها ، وجاز لنا أن نفرق بين ما جاء سؤالا صريحا — كما هو الحال فى سورة الانفال — وما جاء على صورة السؤال — كما هو الحال فى هذه السورة — ربما جاز لنا ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمقاصد كلامه .

وهكذا يمكن أن نتتبع القرآن سورة سورة لنتبين الصلة بين أول السورة وآخرها فيما يتعلق بالفاصلة الأخيرة .

وقد جهدت فى البحث عن أحد من علمائنا السابقين يكون قد نبه على شيء من ذلك ، فلم أظفر بطلبتى هذه غير انى وجدت فخر الدين الرازى يشير الى ذلك فى ختام تفسيره لسورة النساء ، قال : « واعلم أن فى هذه السورة لطيفة عجيبة ، وهى أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى ، فانه قال : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » وهذا دال على سعة القدرة ، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم ، وهو قوله : « والله بكل شيء عليم » وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والالهية والجلالة والعزة وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر والنواهى منقادا لكل التكاليف » .

وقد يقول قائل : ما جدوى أن نتبه وننبه الى الصلة بين الفاصلة الأخيرة وأول السورة ؟ ونجيبه بأننا نؤمن ايمانا جازما بأن كل كلمة فى القرآن جاءت لحكمة عالية ، وبأن كل ظاهرة فى القرآن كذلك ، فاذا جاء شيء ما مرة واحدة فربما لا يلفت النظر ، لكن اذا تكرر وجب أن يكون موضع نظر وتدبر ، وقد نقول إن هذه الظاهرة التى نحن بصددها تشير الى أن السورة كلها فى ارتباطها وتناسقها وتكاملها — مهما تعددت أغراضها — كآية واحدة ، وقد نتوقف ونقول اننا

من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

ومن النوع الثانى ، وان كان الخفاء ليس عميقا ما حاوله القاضى عبد الجبار من عقد اتفاق بين أول سورة ابراهيم وآخرها ، وقد ذكرنا هذه السورة فى النوع الأول على أن الاتفاق بين (كتاب أنزلناه اليك) و (هذا بلاغ للناس) فان كلا من النصين يتحدث عن القرآن ، ولكن القاضى حاول أن يوفق بين : « لتخرج الناس من الظلمات الى النور » وبين « وليذكر أولو الألباب » قال القاضى ـ وقد نقل قوله الفخر الرازى فى تفسيره .. (أول هذه السورة وآخرها يدل على أن العبد مستقل بفعله ، ان شاء أطاع ، وان شاء عصى . أما أول هذه السورة فهو قوله تعالى : « لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ، فانا قد ذكرنا هناك ان هذا يدل على ان المقصود من انزال الكتاب ارشاد الخلق كلهم الى الدين والتقوى ، ومنعهم عن الكفر والمعصية وأما آخر السورة فلأن قوله : « وليذكر أولو الألباب » يدل على أنه تعالى انما أنزل هذه السورة وانما ذكر هذه النصائح والمواعظ لأجل أن ينتفع الخلق بها فيصيروا مؤمنين مطيعين ، ويتركوا الكفر والمعصية ، فظهر ان أول هذه السورة وآخرها متطابقان فى افادة هذا المعنى » .

والقاضى انما حاول هذه المحاولة لينصر مذهبه الاعتزالى ، وكأنه أحس بأن الآيتين تصلحان حجة لأهل السنة على مذهبهم فجعلهما حجة لمذهبه .

أقول : نبه العلماء الى هذه الظاهرة من ظواهر القرآن الكريم فحثنى هذا التنبيه ـ وأنا أدرس الفواصل ـ الى البحث والتأمل : هل هناك صلة بين فواصل أواخر السور وبين أوائلها ؟ وقد اهتديت فى ذلك الى أشياء ربما تكون ممهدة لبحث واسع شامل يكشف لنا الى أى مدى ، وعلى أى وضع يكون هذا الاتفاق .

لاحظت ان الفاصلة فى آخر السورة قد تتفق مع الفاصلة الأولى فى السورة ، وقد تتفق مع بدء السورة اتفاقا ما .

مثلا : الفاصلة الأولى فى سورة (الجاثية) : « العزيز الحكيم » والأخيرة : « وهو العزيز الحكيم » وفى سورة (الحشر) الفاصلتان الأولى والأخيرة : « وهو العزيز الحكيم » .

وفى أول سورة (الزمر) : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » وفى آخرها : (وقيل الحمد لله رب العالمين » . ورب العالمين هو الذى يكون عزيزا حكيما .

وفى أول سورة (فصلت) : « الرحمن الرحيم » وفى آخرها : « الا أنه بكل شىء محيط » وكلا الفاصلتين وصف لله تعالى ، الأولى بالرحمة الشاملة ، والاخرى بالاحاطة الكاملة .

وأول سورة (المائدة) : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم

نثبت الظاهرة التى وضحت لنا ، وننبه اليها فلعله يجىء من يكشف عن سر رائع بديع لها ، ولا بد من ذلك ما دمنا على يقين من أن هذا الصنع هو تقدير العليم الخبير ، وكلام الحكيم البصير .

الأمر الثانى : ولاحظت أن فواصل السورة الواحدة يمكن أن يربطها جميعا رباط واحد ، وهى دائما تتلاءم مع أهداف السورة ، وأحيانا ترتبط سائر الفواصل بالفاصلة الأولى فى السورة ، فاذا أخذنا ـ مثلا ـ الفاصلة الأولى فى سورة الانعام « يعدلون » من قوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » وجدنا أن بقية فواصل السورة تتفق معها اتفاقا ما فنجد ـ مثلا ـ هذه الفواصل : (ثم انتم تمترون ـ الا كانوا عنها معرضين ـ ما كانوا به يستهزئون ـ وللبسنا عليهم ما يلبسون ـ ما كنا مشركين ـ وما نحن بمبعوثين ـ فلا تكونن من الجاهلين ـ ثم هم يصدفون ـ بما كانوا يفسقون ـ والله أعلم بالظالمين ـ فأنى تؤفكون ـ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ـ ولكن أكثرهم يجهلون ـ فذرهم وما يفترون ـ فلا تكونن من الممترين ـ سيجزون بما كانوا يقترفون ـ وان أطعتموهم إنكم لمشركون ـ بما كانوا يمكرون ـ ساء ما يحكمون ـ ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ـ وهم بربهم يعدلون) وبدهى أننا لم نستقص فواصل هذه السورة ، ولكن ذكرنا نماذج منها ، ويتبين جليا أن كل هذه الفواصل تشبه الفاصلة الأولى من ناحية المعنى بل من ناحية تركيبها اللفظى أيضا ، فهى كلها كلمات جزلة ، قوية الجرس ، شديدة الوقع ، فاذا تأملنا الفاصلة الأخيرة من هذه السورة وجدناها مناسبة كل المناسبة لكل فواصلها سواء منها ما اتفق مع الفاصلة الاولى أو ما جاء مضادا لها : « ان ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

وقد نبهنى تقارب الفواصل هذا الى أن بعض المعانى يكثر فى بعض السور سواء كانت فى الفاصلة أو فى غيرها ، فمثلا يكثر معنى (العلم) فى سورة التوبة ، فقد تكرر فيها كثيرا فى الفواصل وفى غيرها .

ولعل مرجع ذلك الى انها كشفت عن أحوال المنافقين ، وكذلك نلحظ هذه المادة ، مادة (العلم) تكرر فى سورة يوسف ، وذلك ، فيما يبدو ـ لأن السورة جاءت بقصة ما كان يعلمها النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى مفتتح السورة تسجيل لذلك : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » . وفى السورة ذكر لاربع رؤى أعطى يوسف عليه السلام علم تعبيرها ، وفى أواخر السورة ما يشير الى ذلك على لسان يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت ولىى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » ثم يكون الخطاب للرسول : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » .

الأمر الثالث : لاحظت أن ارتباط الفاصلة بالآية التى تليها ارتباط قوى

جدا ، بل أقول إنه ارتباط نفسى لـه سر عجيب ، علمه عند الله تعالى . فالحافظ للقرآن الكريم — وقد جربت ذلك بنفسى كثيرا — اذا نسى وغير الفاصلة لم يتذكر الآية التى بعدها ، الا اذا كان له بها عهد خاص ، فاذا اهتدى الى الفاصلة التى نسيها مر سريعا فى التلاوة ، وكثيرا ما يكون تغيير الفاصلة مدعاة الى أن يتلو آية أخرى من هذه السورة أو من غيرها يكون أولها تلوا لهذه الفاصلة المغيرة ، بل لاحظت أن الحافظ اذا كان له عهد خاص بآية من الآيات ، ووصل اليها فى تلاوته وقد نسى الفاصلة التى قبلها يجد فى نفسه شيئا من عدم الانسجام يدعوه الى أن يراجع المصحف ليعرف ما الفاصلة التى تسبق هذه الآية .

ولتوضيح ذلك ندعو من يرتاب فى هذا ان يستعيد ما يحفظه من بعض القصائد فسيجد أن تغيير قافية بيت لا ينسيه البيت الذى بعده . بل ربما يمر فى القصيدة الى آخرها يلقيها من حفظها ، وقد غير أكثر من قافية فيها ، ولا يتنبه لذلك ، وليس كذلك حافظ القرآن الكريم ، فانه — كما قلت — يتوقف ، عند تغيير الفاصلة ، فاذا مر شعر بشىء غير عادى فى قراءته ، ولعل هذا بعض السر فى تيسير القرآن للذكر .

الأمر الرابع : البحث عن أسرار الفواصل ذو أهمية بالغة فى بيان بلاغة القرآن ، فهى محك القدرة ، كما أن القافية — ولله المثل الأعلى — محك قدرة الشاعر ، فأحيانا نجد بعض الشعراء يضطرون الى القافية اضطرارا ليجيئوا بها مكملة للبيت ، ولو ذهبنا نبحث عن معنى لها أحيانا ذلك ، وليس فى فواصل القرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لاكمال الآية اكمالا ما ، بل لكل فاصلة سرها البلاغى ، عرفنا ذلك أو جهلناه ، وقد سبق القول فى بعض هذه الفصول ان البليغ لو رفع كلمة من القرآن وأدار لسان العرب على أن يأتى بأخرى تسد مسدها لأعياه ذلك .

وقد أردت وأنا أكتب هذا البحث أن أقف على مذاهب العلماء قديمها وحديثها فى النظر الى الفواصل . فوجدت أن البحث عن السر البلاغى للفاصلة قديم .

فالزجاج المتوفى سنة ٣١٠ هـ يقول فى ختام قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » من سورة النساء ، وقد ختمت الآية بقوله سبحانه : « ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » يقول الزجاج : وانما ذكر الاختيال هنا لأن المختال يأنف من أقاربه اذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه اذا كانوا ضعفاء ، فلا يحسن عشرتهم .

ويكمل الرازى كلام الزجاج فيقول : وانما خص الله تعالى هذين الوصفين بالذم فى هذا الموضع ، لأن المختال هو المتكبر ، وكل من كان متكبرا فانه قلما يقوم برعاية الحقوق ، ثم أضاف اليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة ، بل لمحض أمر الله تعالى .

وقد أشار الزمخشرى الى شىء من ذلك . ولكن هذا المفسر الذى بنى

تفسيره على المعانى والبيان لم يبسط القول فى أسرار الفواصل . نعم نبه ولكن فى ايجاز يكاد يكون شديدا فى بعض الآى ، مع انه لم يستقص ، حتى فى الفواصل المشكلة يمر سريعا دون ان يتوقف عندها ، فاذا وقف اشار اشارة لا تشفى الغلة .

اما أول من أطال فى ذلك ـ فيما اعلم ـ فهو فخر الدين الرازى ، وهو يشير الى انه صاحب هذا الفن ، أو من المعنيين به ، فهو يحاول كثيرا أن يبين سر الفاصلة ، ونراه يقول بعد أن يطيل البيان عن الفواصل للآيات الاولى من سورة (الرعد) : (فهذه اللطائف نفيسة من أسرار علم القرآن ونسأل الله العظيم أن يجعل الوقوف عليها سببا للرحمة والغفران) .

وهناك آراء ينبغى الا نلتفت اليها ، بل يجب أن ندين أصحابها ، من ذلك ما قاله القاضى ابن المنير صاحب (الانصاف على الكشاف) أن هذه الفواصل تكون أحيانا (من باب التفنن) أى انها لم تجىء لسر بلاغى وانما جاءت لمجرد التغيير ، والتفنن ، ومن ذلك ما حكاه صاحب البرهان عن بعضهم انه قال : (ان اختلاف الفواصل قد يكون لاجتناب التكرار) . فهذان الرأيان خطيران لأنهما يسلبان عن بعض الفواصل الأسرار البلاغية، ومع أن (الزركشى) صدر هذا الكلام الذى نقله بكلمة (قيل) مما يدل على انه لا يستحسنه ، مع ذلك نراه يقع فى نفس الخطأ حين يقول : (وتقع الفاصلة عند الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام) ، فيظهر انه يريد بذلك التحسين اللفظى ، ولكن الرجل نقل عن الزمخشرى وهو العالم البلاغى ـ ما يؤكد أنه لا توجد فاصلة لتحسين الكلام وحده ، قال : (ذكر الزمخشرى فى كشافه القديم انه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة فى السمع ، السلسة على اللسان الا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة ، فأما أن تهمل المعانى ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه الى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير ، ومع ذلك يكون قوله تعالى « وبالآخرة هم يوقنون » وقوله: « ومما رزقناهم ينفقون » لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب فى العطف بين الجمل الفعلية إيثارا للفاصلة ، لأن ذلك أمر لفظى لا طائل تحته ، وانما عدل الى هذا القصد الاختصاصى » .

ولا شك أن العرب الذين سمعوا القرآن لأول مرة كانوا بفطرهم السليمة يدركون بلاغة الفاصلة فى موقعها ، ولم نسمع عن أحد ممن خاصموا القرآن ، أو خاصموا الاسلام أن فاصلة من الفواصل كان أولى بمكانها فاصلة أخرى ، وهذا يدلنا على أن الفطرة اللغوية السليمة أقرت كل فاصلة فى موقعها ، فالقول بأن الفواصل قد تجىء لمجرد التفنن ، أو لاجتناب التكرار ، أو لتحسين اللفظ قول لا حظ له من القبول ، وانما الحق الذى ينبغى أن يصار اليه أن لكل فاصلة سرا بلاغيا ، ولا يعكر على ذلك أن الباحث قد يجهد جهده ثم لا يصل الى هذا السر ، فقد يجىء من يهديه الله اليه .

للشيخ احمد البسيونى

عن ابى عمار شداد انه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من بنى اسماعيل بنى كنانة . واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

[رواه مسلم فى صحيحه]

هذا الحديث الصحيح يبين لنا شرف نسبه صلى الله عليه وسلم ويعرض السلسلة الذهبية التى تتابعت حلقاتها ، متعانقة متصنة ، تحدث الدنيا عن أكرم معدن ، وأطيب منبت . يقول على كرم الله وجهه : قال صلى الله عليه وسلم : « انا من انفسكم ، نسبا ، وحسبا ، وصهرا ، ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح ، كلها نكاح » .. وقال النسابة ابن الكلبى : تتبعت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحا ، ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية ، وهذه سنة الله فى أنبيائه ، وهم صفوة الله من عباده ، أرسلهم الى خلقه ، واستخلصهم من أكرم العناصر ، حفظا لنسبهم من قدح ، ولمنصبهم من جرح ، ليكون الناس إلى اجابتهم أسرع ، والى أوامرهم أطوع .

والله تبارك وتعالى قد اصطفى ابراهيم عليه السلام ، والاصطفاء ، تناول الصفو من الشىء ، وهو الخالى من الشوائب والنقائص ، كما ان

الاختيار ، تناول خير الأشياء وأعظمها قيمة .. وابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، هو شيخ الأنبياء ، ورافع لواء التوحيد فى دنيا زحف عليها ظلام الشرك ، وقد سجل له القرآن الكريم ، مكارم وفضائل . رفعت له ذكره ، وجعلت له لسان صدق فى الآخرين ، شهدت له الآيات البينات بأنه خليل الله ، وهو الحليم الأواة المنيب ، والنبى الصديق الذى وفى ، وهو المجتبى المهدى الى صراط مستقيم ، والحنيف المائل عن كل دين باطل ، منحه الله أجزل عطاء فآتاه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، وانه وهو فرد ، كان امة ، إذ كان عنده من الخير ما عند امة بأسرها ، وكان فى فترة من عمر الزمن منفردا وحده بالايمان ، والناس من حوله عبدة أوثان مشركون (إن ابراهيم كان امة ، قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ، وآتيناه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين) .

ومن ابراهيم الخليل ، جاء اسماعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اجمع النسابون على أن نسب النبى صلى الله عليه وسلم ينتهى على التحقيق إلى عدنان ، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد اسماعيل واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم .. وفى القرآن الكريم أدلة حاسمة تشير إلى أن الذبيح هو اسماعيل ، وليس اسحاق نكتفى بأن نسجل هنا بعضا منها :

١ ـ بشر الله تعالى أم اسحاق به وبابنه يعقوب (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) .
ومحال أن يبشرها بأن اسحاق سيكون له ولد ثم يامر أباه ابراهيم بذبحه ؟ ! وهذا يعطى أن الذبيح اسماعيل ، لا اسحاق ..

٢ ـ ذكر الله تعالى قصة ابراهيم وابنه الذبيح فى سورة « الصافات » ثم ختمت الآيات بقول الحق سبحانه (كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) .

فهذه البشارة من الله ، شكر على صبر ابراهيم على أمر الله بذبح ابنه فمن يكون الذبيح ؟ أهو المبشر به ؟ أو المبشر له ؟ .

٣ ـ الولد البكر الذى يجىء وقد تطلعت نفس الأب اليه ، وتعلق قلبه بحبه ، هو الجدير بأن يمتحن به ايمان خليل الرحمن ، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة ، والا يشاركه غيره فيها ، لذا أمر ابراهيم بذبح ابنه البكر الحبيب الى نفسه « اسماعيل » وبهذا يثبت ـ قطعا ـ أن الذبيح اسماعيل ، وليس اسحاق .. يقول ابن القيم فى كتابه [زاد المعاد] : وأما القول بأن اسحاق هو الذبيح ، فباطل بأكثر من عشرين وجها ! .. وسمعت شيخ الاسلام (ابن تيمية) ـ رحمه الله ـ يقول : « هذا القول أى أن اسحاق هو الذبيح ، إنما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فإن فيه أن الله أمر ابراهيم أن يذبح بكره ـ ولده البكر ـ وفى لفظ ـ وحيده ـ ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن اسماعيل هو بكر أولاده ، ومن العجيب أن التوراة التى بأيديهم تقول : اذبح ابنك اسحاق وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لانها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بنى اسماعيل على هذا الشرف ، واحبوا

ان يكون لهم دون العرب ولكن يأبى الله تعالى الا أن يجعل الفضل لأهله » .. وقد أثنى الله تعالى على اسماعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم بأمهات المكارم ، ومجامع الفضل والنبل فقال سبحانه : (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . وهو الغلام الحليم الصابر على قضاء الله .

وقد اصطفى الله تعالى من بنى اسماعيل « بنى كنانة » ، وكنانة من احفاد اسماعيل عليه السلام ومن اجداده صلى الله عليه وسلم يقول صاحب « السيرة الحلبية » : « قيل له (كنانة) لأنه لم يزل فى كن من قومه ، وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر ، تحج اليه العرب لعلمه وفضله ، وكان سخيا كريما ، يأنف أن يأكل وحده ، ويروى عنه ابن دحية ، أنه كان اذا لم يجد أحدا اكل لقمة ، ورحى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه ، أنفة أن يأكل وحده .. وقد تفرعت من كنانة قبائل كثيرة ، ومن أولاده « النضر بن كنانة » الذى يعتبر أبا لقريش ، فلا يقال لأحد من أولاد من فوقه « قرشى » ولقب بذلك لنضارته وجماله ، واسمه « قيس » وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم: من قريش ؟ فقال : « من ولد النضر » .

والله عز وجل اصطفى من بنى كنانة قريشا ، وانما سموا بذلك لتجمعهم الى الحرم ، فأصل القرش الجمع ، وتقرشوا اذا تجمعوا او لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها ، أو سميت بمصغر القرش لأنهم قد مهروا فى التجارة ، وكانوا أهل بيع وشراء ، فالقرش — بفتح القاف — الكسب والجمع وبابه « ضرب » .

واصطفى الله من قريش بنى هاشم وهاشم اسمه عمرو وهو جد أبيه صلى الله عليه وسلم وانما سمى بذلك لأنه أول من هشم الثريد وقدمه مع اللحم لقومه فى سنى الجدب ، وهو الذى نظم رحلة الشتاء والصيف التى سجلها الله تعالى فى القرآن الكريم فى سورة تحمل اسم هذه القبيلة العظيمة « قريش » .

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
قوم بمكة سنتين عجاف
نسبت اليه الرحلتان كلاهما
سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وقد ولى هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان له من السقاية والرفادة ، ولم يزل هاشم قائما بأمر البيت حتى توفى ، فقام بالأمر بعده ابنه عبد المطلب ، وكنيته أبو الحارث ، وانما قيل له عبد المطلب لأن اباه هاشما قال لأخيه المطلب بن عبد مناف وهو بمكة حين حضرته الوفاة : أدرك عبدك بيثرب ، وقد كان فيها وقت ذلك ، أو أن عمه لما أخذه ودخل به مكة ، ورآه الناس مردفه ، وعليه ثوب غير جديد ، قالوا : هذا عبد المطلب ، أو أن العرب كانوا يطلقون على اليتيم الذى يربى فى حجر انسان ، عبد فلان وقد عمر عبد المطلب طويلا حتى قيل انه بلغ مائة وأربعين عاما ، وهو الذى جدد حفر زمزم بعد أن كانت مطمورة من عهد جرهم ، وقد عثر تحت التراب على غزالتين من الذهب ، وأسياف لضافى الجرهمى ، فضرب الأسياف بابا للكعبة ، وجعل فى الباب غزالتى الذهب حلية للبيت الحرام .

وكان لعبد المطلب من الولد لصلبه عشرة من الذكور ، وست من الاناث ، وكان عبد الله أصغر أولاده وأجمل شباب قريش ، وأمثل فتيانها ، وهو

الذبيح الثانى الذى افتدى بمائة من الابل ، ويكفى انه أبو الرسول الأعظم خير خلق الله ، سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

ويؤخذ من مجموع الأحاديث التى قدمناها أن نسبه صلى الله عليه وسلم خير نسب اهل الارض ، وانه فى اعلى ذروة من الشرف ، والسؤدد ، والعفة ، والطهارة ، فأشرف القوم قومه ، وأسمى القبائل قبيلته ، وأزكى الآباء والأمهات نسبه ، والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية فى قوله :

وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء

نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء

حبذا عقد سؤدد وفخار
انت فيه اليتيمة العصماء

وكان لآل محمد صلى الله عليه وسلم الرياسة ومراكز الشرف فى قومهم ، وما انكر الناس عليهم ذلك قط ، وقد حدث قبيل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم أن جاء ابرهة الاشرم الحبشى بجيشه وأفياله يريد هدم الكعبة ، فلما بلغ ابواب مكة سأل : من رئيس القوم وصاحب امرهم ؟ فقالوا جميعا هو « عبد المطلب بن هاشم ـ جد الرسول ـ فطلب لقاءه وكان بينهما الحوار الذى سجله التاريخ ، وقبل مبعث الرسول بنحو خمسة عشر عاما حدث أن ذهب عمه أبو طالب فى وفد من اهله يخطب إليه السيدة خديجة بنت خويلد ، فقال فى مجلس الخطبة الجامع : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وأصل معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة البيت وشوكة حرمه ، وجعلنا الحكام على الناس . الى آخر ما قال ، ولم نورد شهادة أبى طالب على أنها ظاهرة من ظواهر المفاخرة بالأصول والأنساب ، فى عصر كانت تسوده تلك النزعة ، ولكن اردنا بها الدليل على أن شرف النسب المحمدى ، كان أمرا مجمعا عليه ، تلقاه كل من سمع حديثه ، بالرضى والتصديق .

ولما جاوز عبد المطلب السبعين أو ناهزها ، وكان ابنه عبد الله فى الرابعة والعشرين من عمره ، زوجه آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، سيد بنى زهرة اذ ذاك سنا وشرفا ، وفى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله بآمنة تزوج عبد المطلب من ابنة عمها هالة ، فأولدها حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وضريبه فى سنه ، ولا خلاف فى أنه صلى الله عليه وسلم قد ولد بجوف مكة يوم الاثنين عام الفيل (٥٧١ ميلادية) وقد أخرج مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وانزلت على فيه النبوة » .

والجمهور على أنه ولد فى شهر ربيع الأول ، حتى لقد حكى بعضهم الاتفاق على هذا .. والخلاف انما هو فى تعيين ليلة الميلاد من هذا الشهر ، والذى رجحه ابن اسحاق أنه ولد لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فقد روى ابن هشام فى سيرته قال : حدثنا زياد بن عبد الملك البكائى ، عن محمد بن اسحاق المطلبى ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل ، ورواه ابن شيبة عن جابر وابن عباس . وحكوا شهرته عند الجمهور . وقد حقق صاحب كتاب « تقويم العرب قبل الاسلام » بالحساب الفلكى الدقيق انه صلى الله عليه وسلم قد ولد فى يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق[٢٠ ابريل سنة (٥٧١)] ميلادية ، ولما وضعته أمه آمنة بعثت الى جده عبد المطلب عند الكعبة تخبره انه ولد له غلام ، وسر به الشيخ حين بلغه الخبر ، وأسرع الى زوج ابنه وأخذ طفلها بين يديه ، وسار حتى دخل به الكعبة ، وسماه « محمدا »

وفى كتاب « عيون الأثر » ان عبد المطلب سماه « محمدا » لرؤيا رآها فى نومه فقد رأى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرف فى السماء وطرف فى الارض ، وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة ، على كل ورقة منها نور ، واذا اهل المشرق والمغرب يتعلقون بها . . فقال له أهل التعبير : إنه سيكون له مولود من صلبه ، يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض ، فسماه عبد المطلب لذلك « محمدا » وقيل ان أم الرسول صلى الله عليه وسلم لما حملت به ، جاءها فى النوم من قال لها : سميه محمدا ! وهذا الاسم الجليل الكريم مشتق من مادة «الحمد» والحمد فى لغة العرب هو الثناء الكامل ، والمحمد هو الذى كثرت خصاله المحمودة ، ولذلك يقول الأعشى :

إليك أبيت اللعن كان كلالها

الى الماجد القرم الجواد المحمد

وبذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد

وفى سابع يوم لمولده ، أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ، ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا ، فلما علموا منه انه اسمى الطفل « محمدا » قالوا له : لم رغبت عن أسماء قومه وآبائه ؟ قال : اردت أن يكون محمودا فى السماء وفى الأرض . ولقد كان مولده خيرا وبركة ، اشرقت الارض بنوره ، وتعطرت أرجاء الدنيا بأنفاسه ومشت الانسانية على طريق هداه فعزت وسادت ، فأكرم بيوم مولده من يوم طلع على الدنيا كما يطلع الفجر الصادق فى اعقاب ليل حالك الظلمات .

يوم يتيه على الزمان صباحه

ومساؤه بمحمد وضاء

وكان مبعثه — صلوات الله وسلامه عليه — نقطة انطلاق للدعوة الخالدة ، زحفت معها كتائب الحق ، لتأخذ مواقعها فى ساحة الجهاد الطويل المرير ، اعلاء لكلمة الله ، وتمكينا لمبادىء العدل والحرية والمساواة . وان فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانسانية لعظيم ، فهو الذى سما بقدرها ، ومنحها حقها ، وطرق بابها كما يطرق الغنى باب قوم أضناهم الجوع ، ووفد عليها كما تفد العافية على جسم مزقته العلة ، ولا غنى للانسانية عن

هدى النبى العربى ، فهو لها كالنور للعين ، والهواء للرئتين ، والماء للزرع والروح للجسم . لقد وقف صلى الله عليه وسلم من الحياة موقف الكريم المتفضل ، اعطاها كل شيء ، ولم يأخذ منها شيئا ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولكنه وهو الذى تجبى اليه خيرات الدنيا من أطراف الارض ، كان يأوى الى حجرة متواضعة ، يسكنها راضيا قانعا ، ومن الثاوى فى تلك الحجرة ؟ انه خير خلق الله ، الذى شيد للدنيا اعظم صروح الأمان والأمانة والسلام !!

لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم مجرد مولود وفد على الدنيا فى غمار الآلاف التى تقذف بهم أرحام أمهاتهم على هذه الارض كل صباح ومساء ! ولكنه كان قوة ، جاءت لتعيد تشكيل الحياة ، وتغير مجرى التاريخ ، وكان قدوة برزت الى الوجود لتعطيه المثل الأعلى فى كل شيء ، ولتصل الروح الانسانى بأصله العلوى ، ولتضع المعالم المضيئة ، على طريق البشرية ، حتى لا تزل او تضل ! ومن حق هذا النبى العظيم على امته ، أن تعرف له قدره ، وأن تجعل لنفسه فيه أسوة حسنة ، ان كانت ترجو الله واليوم الآخر ، وتريد أن تصل نفسها بالله شاكرة لأنعمه ، ذاكرة له كثيرا (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا) .

لا نريد أن تكون حفاوة المسلمين بذكرى ميلاد رسولهم ، مجرد كلمات تكتب ثم تترك ، أو مجرد خطب تلهب حماس الجماهير ، ولكن لا تحرك قلوبهم ! ومن الذى قال ان ذكرى هذا النبى العظيم ، ترتبط بيوم معين فى كل عام ، ثم تنقضى بانقضائه ؟!! انها ذكرى خالدة تالدة ، تتجدد مع كل حياة صالحة ، ومع كل خلق مستقيم ، وتضيء فى دنيا المسلمين ، ما استمسكوا بالذى أوحى الى نبيهم ، واعتصموا بسنته ، .

ومن الخير للمسلمين ان يدركوا انه لا يصلح آخر هذه الأمة ، الا بما صلح به اولها ، وسبيل ذلك ان تجعل الرسول الكريم يعيش فى ضميرها ، ويحيا فى وجدانها ، وان يكون هواها تبعا لما جاء به .. ولن تستقيم حياة المسلمين على هذه الارض ، إلا حين تجعل زمامها فى يد قائدها وزعيمها محمد رسول الله ، يقود مسيرتها ، ويوجهها الوجهة الراشدة ، فى جميع مجالات حياتها ، يدخل مع كل مسلم بيته ، ويشاركه عمله وعلمه وحكمه ، داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .. ومن هذا المنطلق تستطيع امتنا أن تنهض من كبوتها ، وتمضى الى غايتها لتتلاقى مع وعد الله الكريم : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

للأستاذ : محمد عزة دروزة

في القرآن آيات عديدة ذكر فيها الشهادة والشهود ، بسبيل اثبات حادث ما رفع أو يمكن رفعه الى الحاكم وبسبيل اثبات حق صاحب الحق فيه .

والآية الوحيدة التي ذكرت فيها المرأة بصراحة هي آية الدين هذه في سورة البقرة : « **يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون**

تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

والمتمعن فى الآية يكشف عن أن الامر فيها هو بانتقاء واحضار شهود للشهادة على معاملة الدين بدليل جملة « **ممن ترضون من الشهداء** » حيث تأمر الطرفين المتعاملين أن يختارا ويحضرا شاهدين من الرجال المسلمين للشهادة فان لم يجدا رجلين فرجل وامرأتان ، وبدليل جملة « **واشهدوا اذا تبايعتم** » .

وشهادة الامرأتين فى نص الآية تعدل شهادة رجل . وقد عللت الآية ذلك بما يفيد والله أعلم أن النساء عادة يكون لهن من مشاغلهن ما ينسيهن ما تشهدنه من معاملات الرجال فتكون احدى المرأتين الشاهدتين مذكرة للثانية اذا نسيت ما شهدته أو أشهدت عليه .

ومن واجب المسلم أن يلتزم بالنص القرآنى ومداه بطبيعة الحال فى موضوع شهادة التعامل بالدين .

ولكن هناك احتمالات أخرى . منها أن يموت الرجل . أو تموت احدى المرأتين . ومنها أن لا يحضر المتعاملان شهودا بالاختيار وذلك بكون امرأة وامرأتان فقط أو رجل واحد وامرأة واحدة حاضرى المعاملة صدفة دون احضار وانتقاء . فماذا يكون الموقف ؟

ان التصدى للاشهاد والشهادة هو اثبات حق صاحب حق بالبينة . وهذا حق وواجب دينى وشرعى عام . وفى آية البقرة توكيد لذلك فى جملة « **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** » وفى جملة « **ولا يضار كاتب ولا شهيد** » ثم فى جملة فى الآية التى تأتى بعد هذه الآية : « **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه** » . ثم فى جملتين فى آية من سورة الطلاق وهى : « **واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله** » .

وكل هذا يسوغ القول والله أعلم ان على الحاكم أن يأخذ بشهادة المتيسر من الشهود العدول ولو كانوا رجلا وامرأة . أو امرأتين أو امرأة واحدة . وسواء أكانوا ممن أختيروا وأحضروا خصيصا للشهادة أو كانوا شهدوا المعاملة صدفة وتلقائيا . وان فى عدم الاخذ بذلك تضييعا للحق الذى لا يمكن أن يرضى الله عنه .

ولقد روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد . وليس فى الحديث ما يوضح هوية الشاهد . وقد تكون امرأة . وكل ما يجب على الحاكم أن يلتزم بالحديث النبوى الذى رواه أبو داود والترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « ان النبى صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمر على أخيه ورد شهادة القانع لأهل البيت وأجازها لغيرهم » . وفى رواية « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية » .

والخائن عرف عنه خيانة الأمانات والعهود . وذو الغمر هو ذو الحقد والعداوة . والقانع هو الخادم التابع .

نأتى الآن الى الآيات الاخرى فى القرآن .

١ ــ ففى سورة النساء هذه الآية ١٥ « **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الله أو يجعل الله لهم سبيلا** » .

وليس فى هذه الآية تخصيص لجنس الشهود الاربعة وكل ما فيها انهم يجب أن يكونوا من المسلمين . وجمهور المفسرين والعلماء متفقون على أن ما فيه خطاب للمؤمنين والمسلمين من آيات قرآنية بدون تخصيص أو قرينة تخصيص : يكون شاملا للمؤمنات والمسلمات . وليس هناك فيما نعلم حديث نبوى يخصص الاربعة الواجب استشهادهم حسب نص الآية بالرجال دون النساء .

وهذا يسوغ القول والله أعلم ان الشهود الاربعة يمكن ان يكونوا رجالا ويمكن أن يكونوا نساء ويمكن أن يكونوا مزيجا من رجال ونساء . بقطع النظر عن ان الظرف يجعل النساء هن الاكثر حضورا واحتمال حضور والاكثر امكانا للشهادة . وان مسألة تعديل شهادة الرجل بشهادة امراتين أو تعديل شهادة المراة بنصف شهادة الرجل ليست واردة . ويلفت النظر الى جملة (فاستشهدوا) فى الآية وهى مماثلة لما جاء فى آية البقرة وفى مداها : اى استحضروا اربعة شهود للشهادة على ان المشهود عليها تأتى الفاحشة أو أتت الفاحشة وهذا أمر مهم فى صدد ما نحن فيه . وتكون شهادة المراة شهادة تامة مثل شهادة الرجل(١) .

٢ ــ وفى سورة المائدة الآيات من ١٠٦ ــ ١٠٨ : « **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم فى الأرض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة**

---

(١) نقول استطرادا ومن قبيل التفسير أو التاويل ان فى آية النساء الهاما آخر فى صدد مدى الشهادة حيث تلهم والله أعلم أنها شهادة علمية وخبرية وليست شهادة عيانية فقط بل وتلهم والله أعلم ان المعنى الاول هو الاكثر ورودا . فكانما يأمر الله والله أعلم النبى والمسلمين وأولى الامر اذا سمعوا ان امراة تاتى لفاحشة أن يتحروا ذلك من المسلمين فاذا شهد أربعة منهم انهم سمعوا ذلك وعلموه ثبت جرم الفاحشة على المراة . وهذا لا يمنع احتمالا آخر للتاويل وهو أن أولى الامر من المسلمين اذا سمعوا عن امراة تاتى الفاحشة طلبوا من المسلمين أو من أربعة منهم رصدها فاذا شاهدوا ذلك عيانا وشهدوا به ثبت الجرم ..

فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين . فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين . ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

وليس فى الآيات تخصيص بكون الشاهدين رجلين ولا قرينة . فيجوز ان يكونا امراتين او رجلا وامراة . وهذا الجواز وارد لأن الحادث يكون فى الاغلب مفاجئا وليس من سبيل للانتقاء ولا يكون بد من الاكتفاء بشهادة او اشهاد الحاضرين او الميسور حضورهم حين الوصية . واذا صح استنتاجا ونرجو أن يكون صحيحا فتكون مسألة تعديل شهادة المراتين بشهادة رجل غير واردة وتكون شهادة المراة تامة كشهادة الرجل ايضا .

٣ ـ وفى سورة النور ٤ ، ٥ تول الله تعالى : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم** » . وفيها كذلك هذه الآية : « **لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون** » .

وما قلناه فى صدد ومدى آيات سورتى النساء والمائدة يقال هنا بتمامه .

٤ ـ وفى سورة الطلاق الآية ٢ : « **فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله** » .

والقول السابق يقال بتمامه ايضا فى هذه الآية . والله تعالى اعلم .

النفاق :

اظهر الناس نفاقا من امر بالطاعة ولم يأتمر بها ، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها .

الدواء :

عن ابى هريرة وعن عائشة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله احد والمعوذتين جميعا ، ثم مسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده ، فلما اشتكى كان يأمرنى أن افعل ذلك به .

من مفتريات اليهود

يستطيع أن يتبين من يقرأ فى أسفار التوراة التى بين ايدينا وايدى اليهود افتراء على الله سبحانه وتعالى ، إذ تصفه وتصوره بما يجب تنزيهه عنه ، ويبرأ من نسبته إليه من يؤمنون بالله وبرسله .

كذلك يستطيع أن يجد أكاذيب شتى فى تصوير الأنبياء وفى وصفهم . ولم يكن عجبا أن سول الضلال لواضعى الأسفار تصوير أنبياء الله بما هم منه براء ، غير مراعين أنه لا يليق بجلال النبوة ، ولا بالذين طهرهم الله تعالى واجتباهم من خلقه لتبليغ رسالاته وهداية عباده .

فقد وصم اليهود انبياءهم بالفواحش التى يقترفونها هم ، وبالرذائل الفاشية فيهم ، من وثنية وزنا وسكر وسرقة وكذب وخداع ونفاق !! كأنهم يأبون أن يبرأ من موبقاتهم شخص واحد وإن كان من الأنبياء ، ولهذا حقت عليهم لعنة الله تعالى فى قوله : « **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** » المائدة ٧٨ ــ ٧٩ .

وهذه لمحة الى بعض مفترياتهم على الأنبياء :

(١) الوثنية

جاء فى سفر الخروج أن بنى إسرائيل استبطأوا عودة موسى من الجبل ، فطلبوا من اخيه هارون أن ينصب لهم إلهاً يعبدونه ، وقالوا له :

على الأنبياء ١

للدكتور احمد الحوفى

قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن موسى أخرجنا من مصر ، ولا نعلم ماذا أصابه .

فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب الذى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وآتونى بها . فنزعوها وأتوه بها ، فأخذها وصورها بالإزميل ، وصنع منها عجلا مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .

فلما نظر هارون ذلك الإله بنى له مذبحا ، ونادى قائلا : غدا عيد الرب .

فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة ، وجلسوا ليأكلوا ويشربوا ، ثم قاموا ليلعبوا ـ سفر الخروج ٣٢/١ـ٦ .

أليست هذه فرية على هارون عليه السلام يدحضها القرآن الكريم ، ويبطلها العقل السليم ، فان هارون نبى معصوم شارك أخاه موسى عليه السلام فى الدعوة الى توحيد الله تعالى ، والنهى عن عبادة الأصنام وغيرها ، وقد استخلفه موسى على قومه فترة من الزمان ، فمن المستحيل أن يساعد على عبادة العجل .

والقرآن الكريم يذكر أن هارون نبى أوحى الله إليه ، قال تعالى :
« إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس

وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا » ــ النساء ١٦٣ . وقال سبحانه وتعالى لموسى وهارون معا : « **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** » ــ الشعراء ١٦ .

أما العجل فان الذى صنعه السامرى لا هارون ، لأن اليهود ما لبثوا بعد اجتيازهم البحر وراء موسى أن تناسوا ما دعاهم اليه من التوحيد ، فطلبوا من موسى نفسه أن ينحت لهم تمثالا يعبدونه ، فاستنكر طلبهم وتوعدهم ، قال تعالى : « **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلهاً** » ــ الاعراف ١٣٨ ــ ١٤٠ .

لكن موسى غاب عنهم لميقات ربه ، فصنع لهم السامرى عجلا جسدا له خوار ، فعبدوه ، قال سبحانه : « **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين** » ــ الاعراف ١٤٨ .

ولقد ذكر سبحانه وتعالى أن السامرى هو الذى أضل قوم موسى فى غيبته ، فلما عاد اليهم موسى غضب وحزن ولامهم وهددهم بعقاب الله ، فاعتذروا بأن السامرى صنع لهم العجل من الذهب ، وفى الآيات نفسها تبرئة لهارون ، بأنه حاول أن يصدهم عن ضلالهم فعجز ، ولهذا لما استنكر موسى منه أنه لم يصرفهم عن عبادة العجل اعتذر له ، وبرأ نفسه ، وصرف الجريمة الى السامرى واليهم ، قال تعالى : « **وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال هم أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى . قال : فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى . فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد ؟ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى .؟ قالوا : ما أخلفنا موعدك بملكنا ، ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم ، فقذفناها ، فكذلك ألقى السامرى . فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فقالوا : هذا إلهكم وإله موسى . فنسى . أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا .؟ ولقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .**

قال : يا هارون ما منعك إذ رأيتم ضلوا . الا تتبعنى ؟ أفعصيت أمرى .؟

قال : يا بن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم ترقب قولى ــ طه ٨٣ ــ ٩٤ .

وتتضح براءة هارون في قوله تعالى : « **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال : بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ؟ والقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه ، قال : ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال : رب اغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين** » ـ الاعراف ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) السرقة

كذلك افترى اليهود أن موسى عليه السلام سرق بأمر من الله ، لأنه أوصاه وبنى إسرائيل أن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم ، وأن يفروا بما سرقوا ، ورسم لهم الوسيلة ، وهى أن تستعير كل امرأة إسرائيلية من جارتها المصرية حليا من ذهب وحليا من فضة وثيابا وتلبسها بنيها وبناتها ، ثم يمضي بنو إسرائيل من مصر وقد سلبوا أبناءها ما أمرهم الله بسلبه ـ سفر الخروج ٣/٢١/٢٢ .

وقد فعل بنو إسرائيل ما أمرهم الله به فسلبوا المصريين ـ سفر الخروج ١٢/٣٥ .

يا له من افتراء على الله وعلى رسوله موسى ؟

إن الله سبحانه وتعالى حرم السرقة فى جميع شرائعه ، لأنها خيانة وخسة وعدوان ، فكيف أمر بها بنى إسرائيل ؟

قال تعالى : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبهما نكالا من الله ، والله عزيز حكيم** » ـ المائدة /٣٨ .

وقال تعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها** » ـ النساء /٥٨ .

لكن سخائم اليهود تأبى إلا أن تتضح حتى فى التشريع الذى ينسبونه الى الله والى رسوله .

نحو اقتصاد إسلامي متحرر

للدكتور ابراهيم فؤاد احمد على

استعرضت فى مقالى السابق بعض أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة الشرعية التى هي من أهم موارد بيت المال فى الاسلام ، والتى يمكن لوزارات الخزانة أو المالية فى الدول الحديثة أن تستعين بها لتكون من مواردها المالية الرئيسية ، ولتكون بديلا عن بعض الضرائب الحديثة التى لا تتوافر فيها صفات الضرائب الجيدة والتى يكثر التهرب من أدائها ، وسأستعرض فى هذا المقال باقى أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

سادسا ــ زكاة الزروع والثمار :

هى فرض بالكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى « وآتوا حقه يوم حصاده » (سورة الأنعام ١٤١) والحق هو العشر أو نصف

العشر وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) سورة البقرة ٢٦٧ . وقال الرسول (فيما سقت السماء والأنهار والعيون العشر ، وفيما سقى بالساقية نصف العشر) والساقية هى الناضح من الابل والبقر يستقى عليه .

وسبب وجوبها هو الزرع الناتج من الأرض . فلو تمكن الزارع من الزرع ولم يزرع فلا زكاة عليه ، ولو أصاب الزرع آفة لا يلزمه شيء .

ويشترط لزكاة الزروع والثمار ، أن تكون الأرض عشرية كأرض الجزيرة العربية عند الأحناف فلا زكاة عندهم فى الزرع الناتج من الأرض الخراجية (أى الاراضى التى فتحها الاسلام كأراضى مصر) ، لأن وعاء الزكاة عندهم هو الأرض . ولكن الجمهور على وجوب الزكاة فى الأرض العشرية والأراضى الخراجية ، لأن وعاء الزكاة هو الزرع الخارج من الأرض ، ولأن وعاء الخراج هو الأرض أو بمعنى أصح هو حق الانتفاع بالارض ، وهما حقان مختلفان ، ويشترط أن يكون الخارج نصابا عند غير أبى حنيفة ، والنصاب خمسين كيلة بعد تصفية الحب من التراب والغلت . أما أبو حنيفة فيرى الزكاة فى كل ما يخرج من الأرض بدون اشتراط النصاب ، وذلك محافظة على حقوق الفقراء واخذا بالآية الشريفة (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) . فهنا لم تشترط الآية توافر النصاب أما باقى الأئمة فيرون ضرورة توافر النصاب لحديث الرسول (ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر أو حب صدقة) .

والوسق هو وحدة وزن تساوى ثلاثمائة رطل تقريبا .

وقد اختلف العلماء فى الزروع والثمار الواجب فيها الزكاة ، فمنهم من رأى قصر وجوبها فى أربعة أصناف هى : القمح والشعير والتمر والزبيب ، وبعضهم توسع ورأى وجوبها فى كل ما يخرج من الأرض من زروع وثمار تزرع بقصد استغلال الأرض عادة (أبو حنيفة) ، والبعض الآخر اشترط وجوب الزكاة فى الزروع التى تبقى سنة بلا علاج كثير سواء أكانت مكيلة كالتمر والحبوب أم غير مكيلة كالقطن . وبعضهم ذهب الى قصر الزكاة على المقتات (المستخدم فى قوت الناس) والذى يدخر ويستنبته الآدميون الى غير ذلك من الآراء .

وسبب اختلاف الأئمة فى تعلق الزكاة بتلك الأصناف هل هو لعينها أم لعلة فيها وهى الاقتيات ؟ فمن قال ان الزكاة تجب فيها لعينها قصر الوجوب على الأربعة أصناف ومن قال إن الزكاة تجب لعلة الاقتيات عدى الوجوب لجميع المقتات (١) . وعند قيام الدولة بجباية زكاة الزروع والثمار يمكن اختيار الرأى الذى يتناسب مع ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية .

واختلف العلماء فى وعاء الزكاة : هل هو اجمالى الايراد أم صافى الايراد بعد خصم جميع النفقات ؟ فمنهم من يقول بفرضها على إجمالى الايراد أى على اجمالى قيمة الزرع الناتج ، لأن النبى أوجب الحق على التفاوت بتفاوت المؤونة حيث أوجب الزكاة فى الذى يروى بالراحة بنسبة ١٠٪ وفى الذى يروى بالعمالة (أى بالآلات) بنسبة ٥٪ فكأنه أدخل معها باقى النفقات ، وذهب بعضهم الى وجوبها فى صافى الايراد بعد خصم ما ينفق على الأرض ثم يزكى الباقى بحسب حالة الرى .

والذى أراه صحيحا أن تفرض الزكاة على اجمالى الايراد بنسبة ١٠٪ إن كان الرى بالراحة ، وبنسبة ٥٪ إن كان الرى بالآلات لأن ذلك يتمشى مع حديث الرسول فأدخل النفقات فى نسبة الـ ٥٪ الفرق بين سعر الزكاة فى المروى بالراحة والمروى بالعمالة .

طريقة الخرص لتحديد وعاء الزكاة :

الخرص لغة هو التقدير ، وكانت تستخدم هذه الطريقة منذ أيام الرسول لتقدير ما على النخل من الرطب تمرا ، وما على الكرم من العنب زبيبا ، وذلك اذا نضجت الثمار وقبل أن تؤكل الثمرة وتفرق وكلمة الخرص أن الفقراء يعتبرون شركاء أرباب الأموال فى الثمر فلو منع رب المال من الانتفاع به الى صلاحه لأضره ذلك ، ولو انبسطت يده فى الثمر لأخل ذلك بحق الفقراء ، ولما كانت الامانة غير متحققة عن كل واحد من أرباب الاموال ، فقد وضع الشارع هذا الضابط ليتأتى لرب المال الانتفاع به مع حفظ حق المساكين فيه ، هذا وقد أوصى الرسول الكريم بترك بعض الثمر للزراع رأفة بهم عند الخرص وقد ذهب بعض العلماء الى إمكان خرص باقى المحاصيل الزراعية كالثمار .

ويمكن الآن استخدام طريقة الخرص أو التقدير عند جباية زكاة الزروع والثمار بمعرفة الدولة ، فيقدر المحصول الناتج عن كل مزارع عند نضجه وقبل حصاده وتقوم شون بنك التسليف الزراعى باستلام حصيلة الزكاة .

سابعا ـ زكاة النعم :

النعم (بفتح النون المشددة وفتح العين) هى الابل والبقر والغنم . وتجب الزكاة فيها اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول وكانت سائمة وهى التى تكتفى بالرعى فى كلأ مباح فى أكثر السنة عند الأحناف وأحمد ، ولا عبرة بعلفها أقل الزمن لأنه لا يمكن الاحتراز عنه .

والماشية المعلوفة والعاملة لا زكاة فيها ، ولكن الامام مالك اوجب الزكاة فى العاملة والمعلوفة متى بلغت نصابا للاطلاق فى عدة احاديث منها (ليس فيما دون خمس ذود صدقة (الذود هى الابل) والراجح مذهب الجمهور لحديث ابن عباس (ليس فى البقر العوامل صدقة) والحديث الشريف (وفى سائمة الغنم اذا كانت أربعين ففيها شاة الى عشرين ومائة) .

ونصاب الابل أو له خمس وفيها الى تسع ، شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز (الجذع من الضأن ماله ستة اشهر ، والثنى من المعز ما استكمل سنة) .

ومن ١٠ ابل الى ١٤ يجب فيها شاتان ، ومن ١٥ ـ ١٩ يجب فيها ٣ شياه ، ومن ٢ ـ ٢٤ يجب فيها ٤ شياه ومن ٢٥ فأكثر يجب فيها الابل بأعداد وأوصاف مختلفة لا محل للدخول فى تفصيلاتها .

نصاب البقر : (ويشمل الجاموس أيضا) وأوله ثلاثين وفيها تبيع ذكر (وهو ما استكمل ستة اشهر وقدر على اتباع أمه (فإن بلغت ٤٠ بقرة ففيها مسنة انثى (وهى ما استكملت سنة من عمرها) واختلف العلماء فيما زاد على الأربعين من البقر ونصاب الغنم :

وهى الضأن والمعز) وأوله أربعون وفيها الى مائة وعشرين شاة واحدة ، ومن ٢٠١ ــ ٣٩٩ شاة فيها ٣ شياه واذا بلغت ٤٠٠ ففيها ٤ شياه ، وفى كل مائة استكملتها بعد الـ ٤٠٠ شاة .

وهذا ويعفى من الزكاة : الخيل والبغال والحمير لأنها عاملة ، أما إن اتخذت للاتجار فيها ، ففيها زكاة التجارة . وذهب أبو حنيفة الى أن الزكاة تجب فى الخيل متى كانت سائمة متخذة للنسل عن كل فرس دينار أو ربع عشر قيمة الخيل إن بلغت قيمتها نصابا (أى نصاب الذهب) .

وقد أوحت حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية بأنه قياسا على ما ارتآه أبو حنيفة من وجوب الزكاة فى الخيل متى اتخذت للنماء والاستيلاد أو بوجوب أخذ الزكاة فى كل الحيوانات التى تتخذ للنماء والاستيلاد ومنها الخيل اذا بلغت قيمتها نصاب الزكاة وبنسبة ٥ر٢٪ من قيمتها وهذا الرأى يمكن تطبيقه فى بلد مثل جمهورية مصر العربية ، لأن شروط افتراض الزكاة فى الغنم تسرى فى الاراضى التى بها مراع واسعة ، ولا يتحقق ذلك عندنا لعدم وجود المراعى بكثرة ولعدم وجود الاعداد الكبيرة من الماشية عند الافراد والتى تصل أول النصاب فيها .

ثامنا ــ الاموال المستحدثة :

ناقشت حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٢ بدمشق موضوع الاموال التى استحدثت ولم تكن معروفة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وفى أيام الاستنباط الفقهى ، وافترضت وجوب الزكاة فيها بدعوى أن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها معللة وليست تعبدية . والعلة فى فرض الزكاة فى الأموال المذكورة هو نماؤها بالفعل أو بالقوة فالزكاة تثبت فى الزروع والثمار لأنها نماء الارض فالأرض اذن مال نام يغل بالفعل والاستغلال ، والنقود لا تثمر بذاتها ولكنها تنمو باستخدامها فى التجارة والصناعة فهى لا تشبع الحاجات بنفسها لكنها تشبعها بما تتخذ وسيلة فى جلبه ، ولهذا عدت مالا ناميا بالقوة وقد أعفى الصحابة والتابعون والفقهاء الأموال التى تعد من الحاجات الاصلية

كأدوات الصناعة الأولية مثل آلة النجار الذى يعمل بيده ، وآلة الحداد ، والدور المخصصة للسكنى ، لأن هذه الاموال لا تعد نامية بذاتها ولا بالقوة .

ولكن قد استحدثت أموال ، فى العصور الحديثة لم يفرض فيها الفقهاء الأقدمون الزكاة ، كما أنه لم يرد عن النبى نصوص تمنع فرض الزكاة فيها كأدوات الصناعة فقد كانت فى الماضى تعد من الحاجات الاصلية ولم تكن مالا ناميا بل كان النماء لمهارة الصانع وليس فيها . ولكن الآن أصبحت الآلات الصناعية رؤوس أموال تستثمر فيها الاموال بكميات ضخمة وبذلك تكون مالا ناميا وكذلك الدور لم تكن فى الماضى الا مساكن لاصحابها ، والآن صارت مستغلا ورأس مال يأتى بالايرادات الكبيرة .

وقد قامت الحلقة بدراسة تلك الاموال المستحدثة ، وهناك بحوث أخرى قام بها علماؤنا المعاصرون وانتهت تلك الدراسات والبحوث الى وجوب الزكاة فى الأموال المستحدثة وهى :

١ الآلات الصناعية .
٢ الأوراق المالية كالاسهم والسندات .
٣ كسب العمل والمهن الحرة .
٤ الدور والأماكن المستغلة .

وليس هنا محل تفصيل توصيات الحلقة فى هذا الشأن ، بل يكفى الاشارة الى أن الزكاة تشمل أنواعا عديدة من الأموال النامية ، وبذلك تتسع قاعدتهاوتكون مصدر ايراد وفير يمكن الدولة من القيام بانفاقها فى مصارفها المخصصة لها .

واذا كنا قد ذكرنا أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة ، فانه من اللازم الاشارة الى من تجب الزكاة فى ماله ؟ وبمعنى أوضح تجب الزكاة فى أموال غير المكلفين بالعبادات مثل الصبيان والمجانين ، أم أنها لا تجب الا على المكلفين ؟ وقد ذهب أكثر التابعين الى وجوب الزكاة بأنواعها فى أموال غير المكلفين ، حتى أن بعض الحنابلة ذهب الى وجوبها فى مال الجنين اذا ولد حيا ، وتجب الزكاة فى هذه الحالة ليس من وقت ولادته ولكن حين وقت التأكد أنه كان فى بطن أمه .

وبذلك نجد أن قاعدة المكلفين بالزكاة واسعة كقاعدة الأموال المزكاة .

وهذا مما يشجع الدولة على القيام بجبايتها وانفاقها ، تنفيذا لحكم الشريعة الاسلامية الغراء ، وتقوية وتدعيما لمالية الهيئات المحلية .

---

(١) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ١ . ص ٢٤٢ وما بعدها .

المساجد

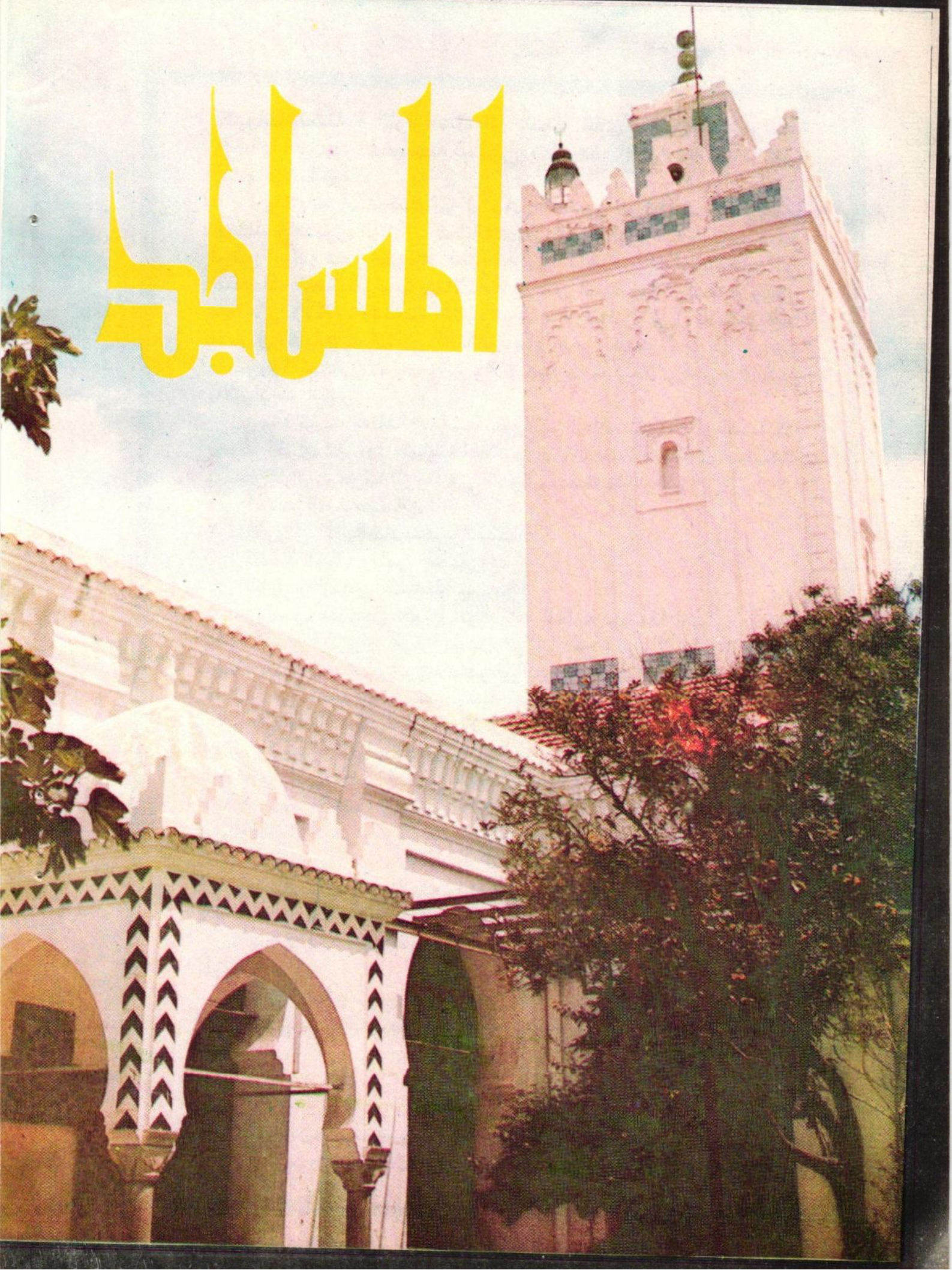

والآثار الاسلامية في الجزائر

اعداد عبد الستار محمد فيض

بدأ الفتح الاسلامى للجزائر بفتوحات عقبة بن نافع فى عهد الدولة الاموية ، وفى القرن الثامن الميلادى قام الأمويون بفتح اسبانيا ممهدين بذلك لخلق نواة للهندسة المعمارية الأندلسية .

وقد خضعت الجزائر منذ بداية الفتح الاسلامى للعديد من الحكام كالبربر والرستمانيين والصنهاجيين والمرابطين والموحدين والمرينيين . الذين كان لهم جميعا دوركبير فى نشر الاسلام وتدعيم قواعده لا على الساحل الافريقى الشمالى فقط انما على معظم القارة الافريقية . وقد خلف لنا هؤلاء الحكام أروع الآثار الاسلامية وأجمل المساجد التى بلغت من ثراء الهندسة المعمارية والفن الاسلامى حدا لا يوصف ، بجانب ما لها من أهمية تاريخية عريقة .

فى أوائل الفتح الاسلامى للجزائر شيد أول مسجد ببلدة تنس القديمة وقد أقيم على شكل مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما أنه كثير الشبه ايضا بمسجد القيروان بفضل أعمدته المتنوعة الأشكال والاحجام وله محراب مضلع ، والاضاءة المنبعثة من نوافذه العليا خافتة تبعث على من فيه الهدوء والاطمئنان .

وفى القرن الحادى عشر قام « الزيريون » بتشييد مسجد (سيدى ابو مروان) فى عنابة ولم يبق من هذا المسجد سوى مجموعة من الصومعات الاسلامية المتنوعة الزخرفة أشهرها الصومعة الزيرية .

وهذه الصومعة متوازية الاضلاع بداخلها مصلى ومحراب ومزدانة بزخرفة أصيلة ذات أشكال هندسية بديعة ، وهى قائمة على ثلاث قواعد عمودية وتعتبر أول صومعة من نوعها .

الآثار الاسلامية للمرابطين

بينما كان بنوحماد يفرضون أنفسهم فى القطاع الشرقى من الجزائر . قدم المرابطون القادمون من المغرب الأقصى للجزائر ثلاث آثار من أجمل الآثار الاسلامية وهى مساجد تلمسان والجزائر، وندرومه . وهذه المساجد مشيدة على أعمدة مختلفة التصاميم تعلوها تيجان شبيهة بتيجان مسجد قرطبة الحاملة للأقواس .

لكن المرابطين لم يقتصروا على تقليد التيجان بل قلدوا ايضا الأقواس الأندلسية ذات الخمسة فلقات وزادوا فى مساجدهم أقواسا ذات سبعة وتسعة واحدى عشرة فلقة .

وقد أظهر المرابطون براعة وابتكارا فى فنهم الاسلامى ، فهم أول من أعطى المحراب شكلا سداسيا ، كما زينوا المشكاة بقبة صغيرة ذات خطوط منقوشة تتوسطها زخارف زهرية تعتبر من أبدع تحف الفن الاسلامى وذلك الى جانب الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفى الذى يعتبر من أجمل الخطوط الزخرفية فى العالم .

والقبة الموجودة فى مقدمة المحراب هى الأخرى عنصرا من عناصر الشهرة التى يتمتع بها مسجد تلمسان الأعظم، وهى تعتبر أول قبة بنيت فى المغرب. وتعتبر رائعة من روائع الفن الاسلامى بزواياها المحلاة بالنقوش الزهرية والاخواص ..

والمرابطون هم أول من أدخل هذه الزخرفة على القباب ، والواجهات الخارجية لمسجد تلمسان لا تشتمل على أية زخرفة ، أما الصومعة التى تتوجه اليها الأنظار عند الأذان فهى محلاة بالآجر الأخضر والأحمر الخافت وبأقواس معتدلة ومقلوبة مزدانة بزخارف خزفية غنية بالألوان .

أما جامع العاصمة « الجزائر » الذى شيد فى أول رجب ٤٩٠هـ الموافق ١٤ يونيو ١٠٩٧م ، فيعتبر أيضا من المساجد القديمة التى ادخلت عليها تحسينات عديدة فصومعته وواجهته الشمالية أعيد بناؤها ، واضيفت للواجهة الشمالية أعمدة صغيرة فى العهد الحديث ، أما الصحنان المتواليان فقد أدخلت عليهما تحسينات فى العهد التركى .

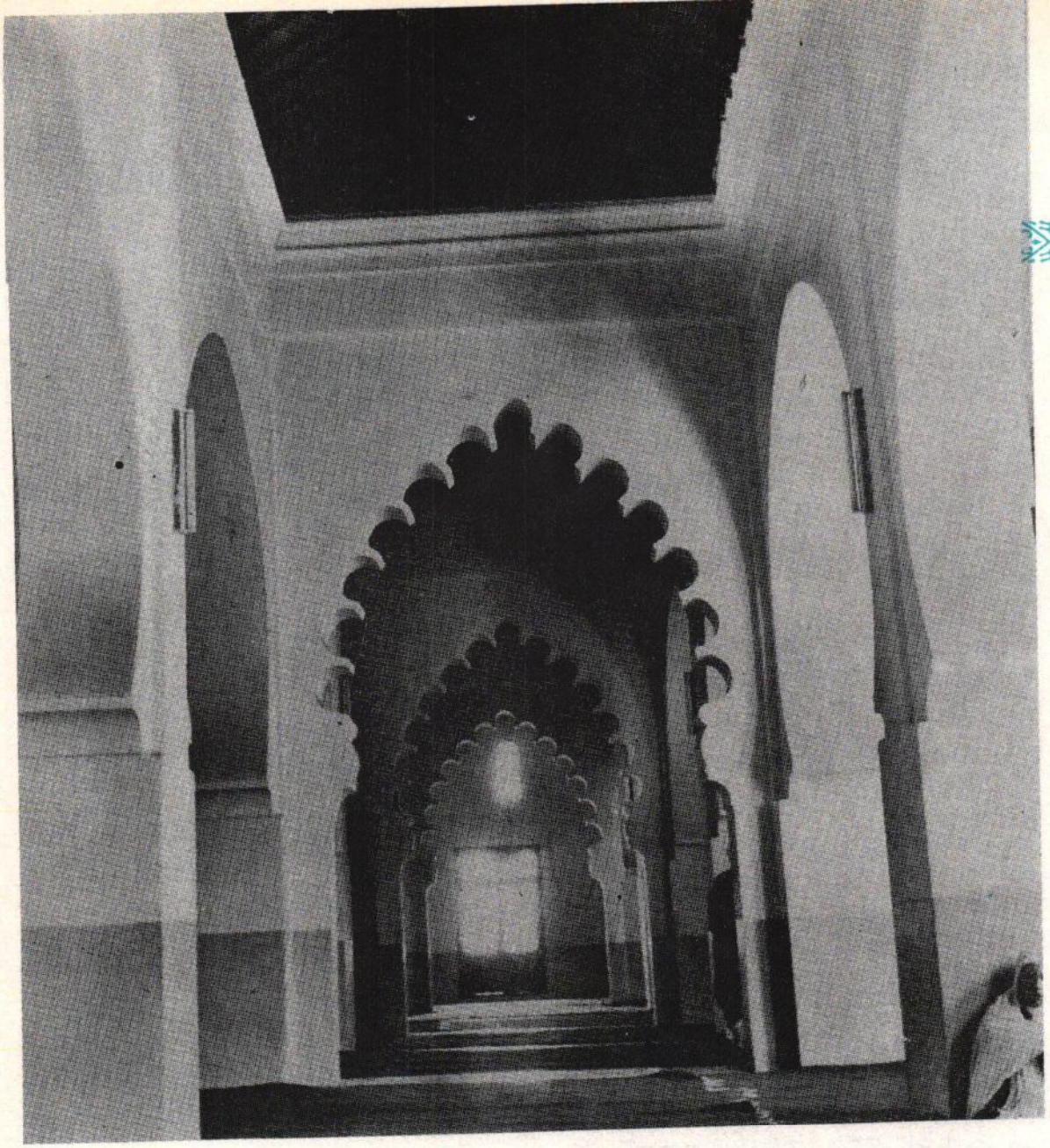

قاعة الصلاة بجامع العاصمة

وتتميز مدينة ندرومه بآثارهـــا الاسلامية فهى وان اقتربت من البحر فليست على شواطئه وانما تمتد المدينة على هضبة لطيفة الانحدار نحو الجنوب الغربى بين واديين عميقين ، وتحيـط بالمدينة هضاب تغمرها أشجار الزيتون والبرتقال والزهور ، وهو منظـــر طبيعى مألوف ، فاذا كان جامع مدينة ندرومه أكثر بساطـة من جامعـى تلمسان والجزائر فربما يعود ذلك الى صفاء منظر هذا البلد الهادىء ، ولـم يحتفظ المسجد الآن بزخرفة المرابطين الا ببعض الاجزاء التى تحلى المنبـر وهـى محفوظة بمتحـف الآثـــار بالعاصمة .

عهد الموحدين

ويمضى عهـــد المرابطين ليجىء عهد الموحدين الذين لم يتركوا لنا آثارا دينية هامة نظرا لانشغالهم فى المغرب الاقصى وفى الاندلس غير أن اخلافهم بنى عبد الواد تركوا العديد من هـذه الآثار . فمملكة يغمور السند بن زياد المؤسسة عام ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) . خلفت لنا مساجد (سيدى بلحسن)، (أولاد الامام) ، (سيدى ابراهيم)، (المشور) كما خلفوا صومعات هـذه المساجد الأثرية الهامة .

فمسجد بلحسن يشتمل على ثلاثة صحون وحول المسجد افريـز نقشت

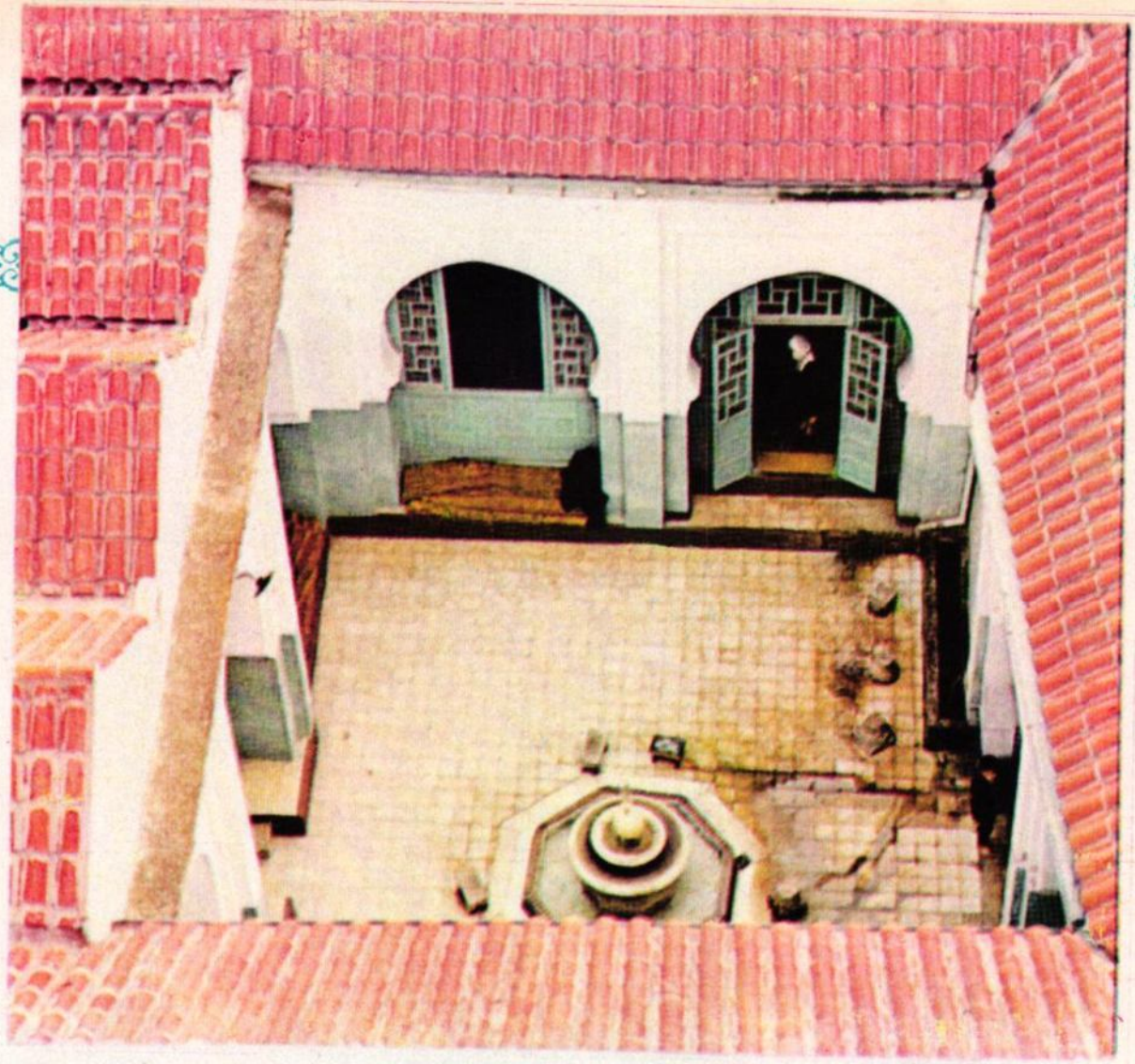

صحن جامع ندرومه وهو صغير نسبيا وأرضه مكسوة بالمرمر وفى وسطه حوض للوضوء .

يتميز جامع تلسان بانواع من الاقـــــواس الاندلسية أدخلهـا المـرابطون لاول مرة فى المساجد وهى أقواس مفلوقة اشتهرت بهـا مساجد الاندلس .

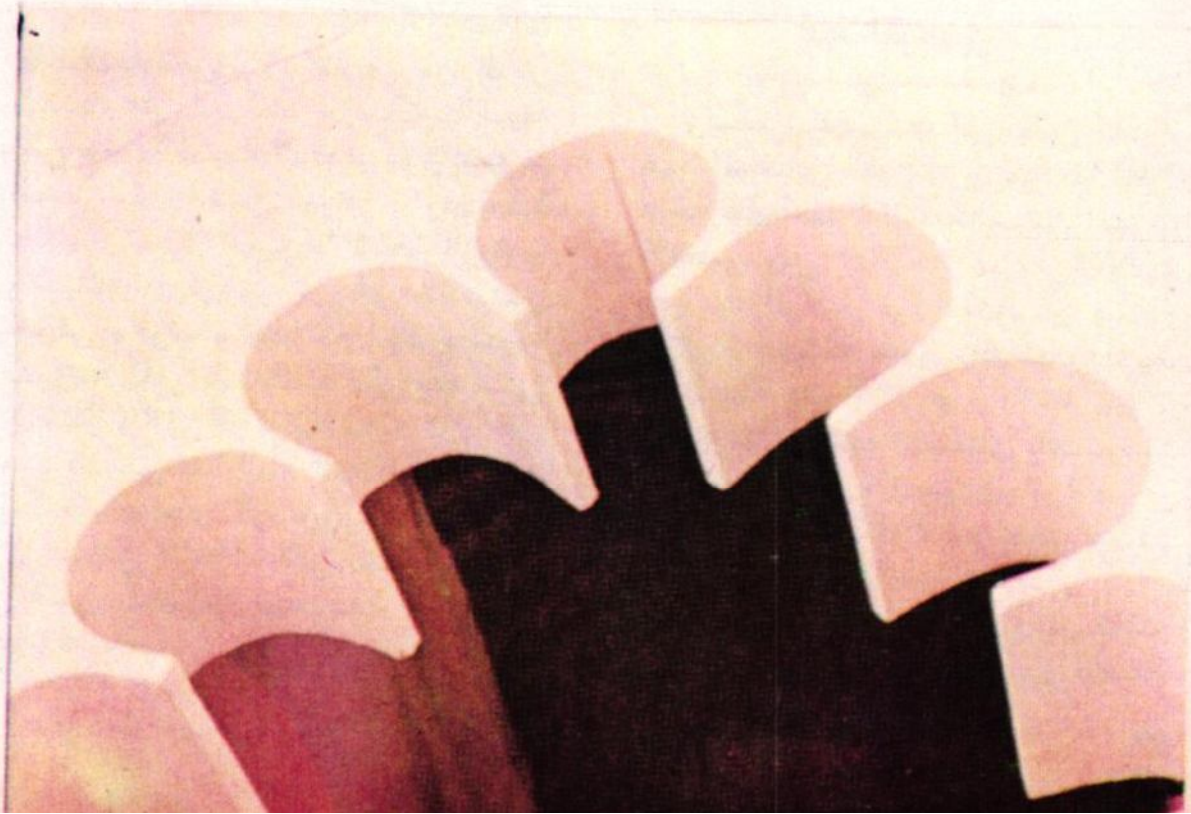

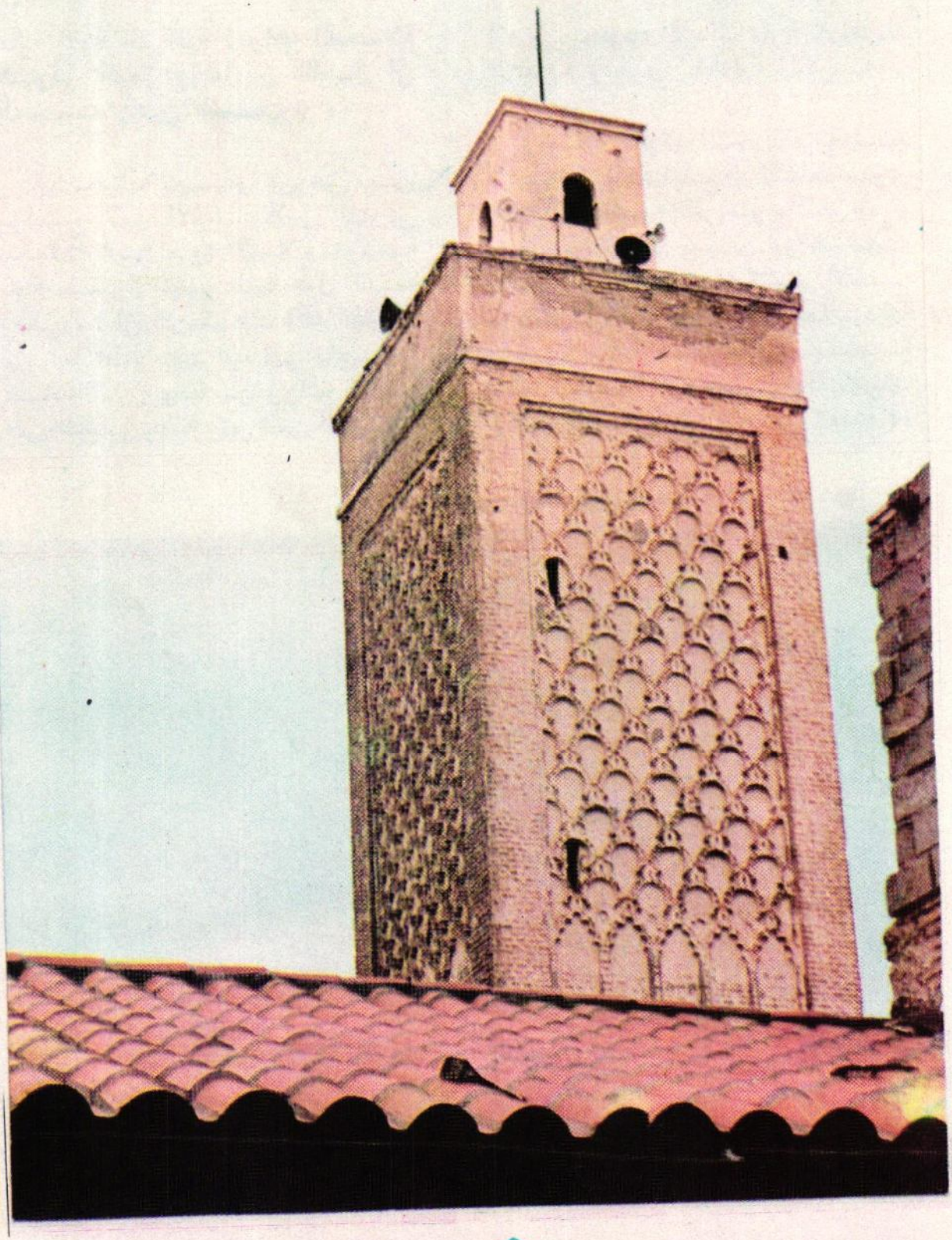

صومعة جامع ندرومه التى يبلغ طولها اربعة امثال عرضها ومغلفة من الخارج بزخرفة من الآجـــر .

عليه الآية القرآنية (**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات**) .

أما محرابه فهو عن حق من روائع الفن الاسلامى المغربي فمشكاته السداسية الأضلاع متوجة بقبة صغيرة نقش عليها قول الله تعالى : (**أن أكرمكم عند الله أتقاكم**) .. أما اطار المحراب فهو باجماع علماء الآثار روعة من روائع النقش على الجبس وقمة رقى الفن الاسلامى العربى بعقوده المزدانة تارة بالزخرفة الزهرية وأخرى بالكتابة المنقوشة .

ومسجد (أولاد الامام) لم يحتفظ بزخرفته ولا نستطيع أن نشاهد سوى القبة السداسية التى تتوج المحراب .

ويتميز مسجد سيدى ابراهيم بقبته الكبيرة التى احتفظت بالقسم الأكبر من نقوش جدرانها ، واركانها مزدانة بزخرفة نباتية . متدرجة من نجمة ذات ثمانية فروع محلاة بكتابات (العز لله) (الحمد لله على نعمته) .

صومعة جامع سيدى ابراهيم والساحة

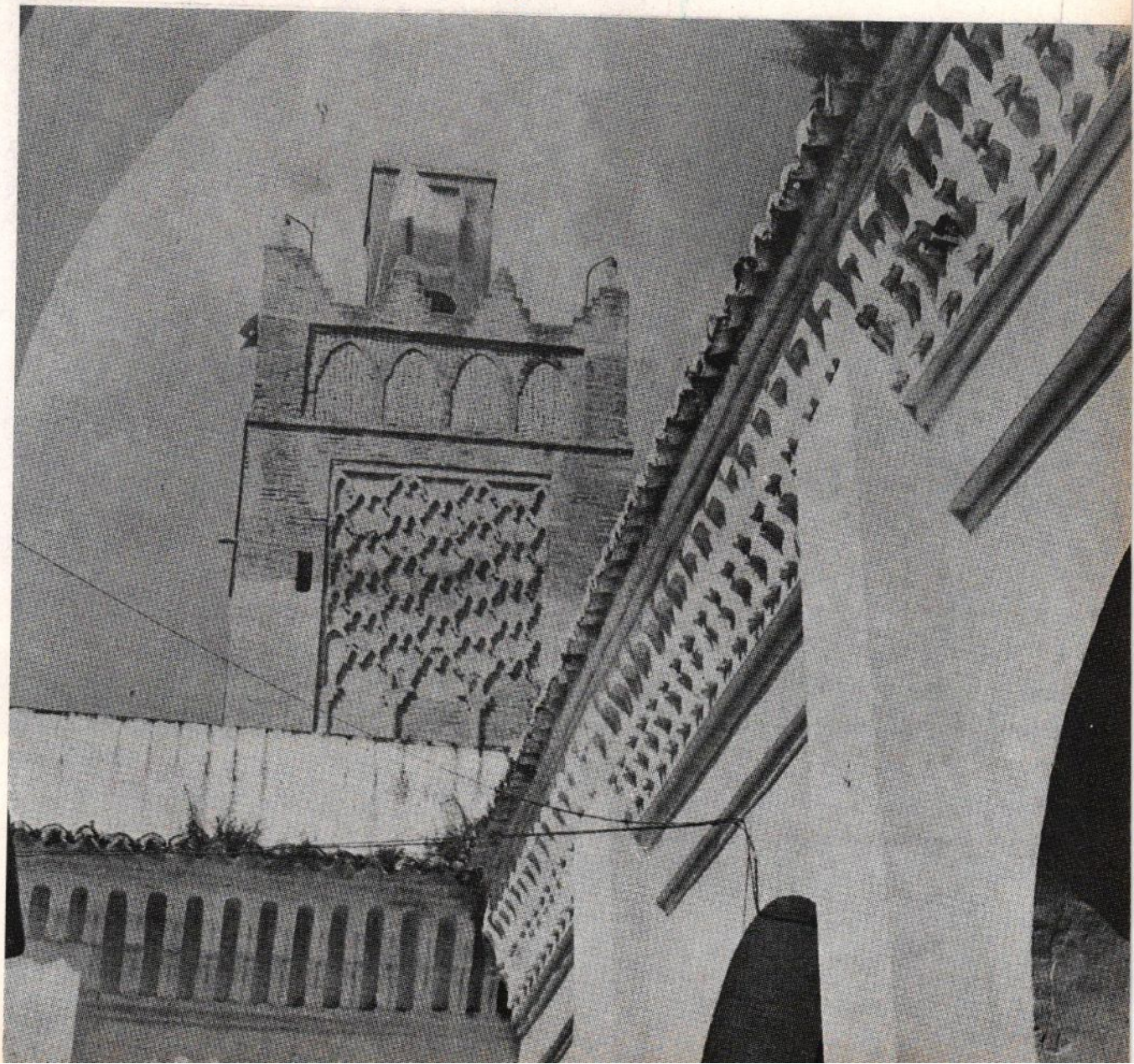

تيجان مسجد تلمسان

أما جدار القبة فمنقوش عليه قول الله تعالى **(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب)** وقال الله تعالى : **(ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد)** .

وعلاوة على هذه الآثار فان بنى زياد خلفوا لنا أيضا مجموعة غنية من الصومعات أشهرها صومعة (المشور) التى تمتاز بأقواس محبوكة تزخرف قسمها الأعلى ، أما القسم الأسفل فزين بمربعات من القيشانى منقوش عليها (توكلت على الله) (انت المعين) (أنت المهيمن) (اجعل عملى مقرونا بالخير) وهذه النقوش الجميلة تبين لنا مدى التدين الحقيقى الذىكان يطبع ايمان هؤلاء البناة الذين أعطوا مبانيهم الدينية خير ما كانوا يملكون من فن واتقان .

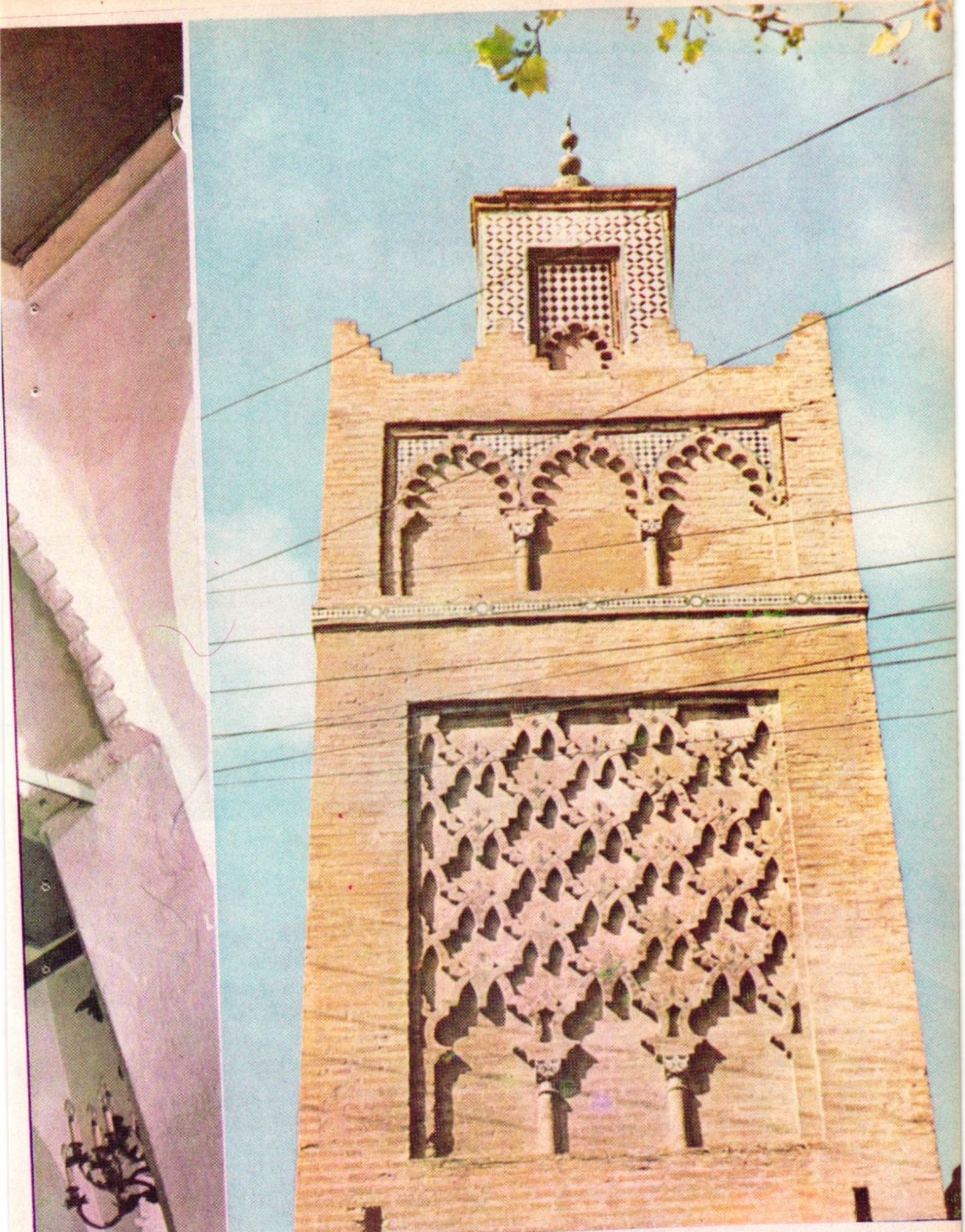

صومعة مسجد سيدى بلحسن .

جامع سوق الغزال فى قسطنطينية بنى عام ١١٤٣ هـ — ١٧٣٠ م وهو من اثار العهد التركى .

داخل مسجد سيدى بومدين .

آثـــار المرينيين

ويأتى القرن الرابـــع عشر لينتصر ملـــوك بنى مريـــن على الموحـــدين ويطردوهم من مراكش فى العاشر من محرم ٦٦٨ هـ (٨ سبتمبر ١٢٦٩ م). بقيادة أميرهم أبى يوسف يعقـــوب ، ومعلـــوم ان القائـــد فى ذلـــك العهـــد كان يتولى الأمور الدينية والعسكرية وشئون البناء فى آنواحد وبعد الاستيلاء على المغرب الأقصـــى ولى بنو مرين شطر المغرب الأوســـط (الجزائر اليوم) واستولوا عليها مـــا عدا مدينة تلمسان التى كانت تمتـــاز بموقع عسكرى منيع وحصيـــــن فحاصرها أبو يعقوب ثمـــانى سنوات انتهت بالاستيلاء عليها . وخلال هـــذا الحصار تم بناء مدينة المنصورة وهى عبارة عن قلعة محصنة تقع فى سفح تلمسان .

يقول ابن خلدون : (ان هذه المدينة كانت تضم حمامات وفنادق ومستشفى ومسجدا حيث كانت تقام صلاة الجمعة وهو مسجد كانت صومعته التى اقامها السلطان تبلغ ارتفاعا عجيبا) .

وليس من الصعب علـــى المرء أن يصدق ما اورده ابن خلـــدون لا سيما أن هذه الصومعة لا تزال موجودة الى اليوم ، ذهبية اللون ، عظيمة الحجم قائمة على انقـــاض مسجد المنصورة الكبير الذى كانت تشكل رواقه .

ان مسجد المنصورة هو أكبـــر مساجد الجزائر سعة اذ يبلغ عرضه (٦٠) مترا وطوله ٨٥ مترا .

وفى عام ٧٣٧ هـ (١٣٣٦م) أقـــام السلطان المرينى أبو الحسن مسجدا وقبة ومدرسة سيدى بومدين .

ومسجد بومدين أغنى أثر عرفتـــه الجزائر من الفن الاسبانى الاسلامى وخلافا لقواعد التقشف التى كانت حتى ذلك الحين تجعل الزخرفـــة مقصورة على الخطوط الرئيسية للبناء فان بناة هذا المسجد لم يراعوا هذه القواعـــد وراحوا يتفننون فى زخرفة رواقـــه ومحرابه واقواسه وسقوفه وصومعته حتى أصبح قمة فى الفن .

أما ابن أبى الحسن وخليفته فقد ترك لنا مسجد سيدى العلوى الذى تـــم بناؤه سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٤ م) وهو يشبه المسجـــد السابق ويعتبـــر المسجدان تحفتين رائعتين .

العصـــر التركى

ومع نهاية القرن الخامس عشـــر ظهر الاسلوب التركى على الهندســـة المعمارية للمساجد وهـــذا الأسلوب مستمد مباشـــرة من الفـــن البيزنطى بالقسطنطينية . والمساجد ابتداء من هذا العصر تمتاز بقبة ضخمة فـــوق صحن واحد يشمل مساحة داخليـــة واسعة دون أعمدة .

وجميع المساجد التى تمتاز بهـذه القباب ذات الصحن الواحد والتـى نجدها فى الجزائر قد تأثرت بالأسلوب العثمانى مثل :

جامع على بتشين الذى بناه القائد على بتشين المسيحى المعتنق لدين الاسلام وهذا الجامع يحول الى

الفرنسى الى كنيسة نتردام دى فكتور ثم عاد مسجدا بعد استقلال الجزائر .

ومسجد كتشاوه وجامـع سـفير وجامع الحواتين ومسجد صـلاح باى فى عنابة الـذى بنى عـام ١٢٠٦هـ ومسجد سوق الغزل ومسجد سيدى [illegible] المبنى عام [illegible] هـ وغيرها .

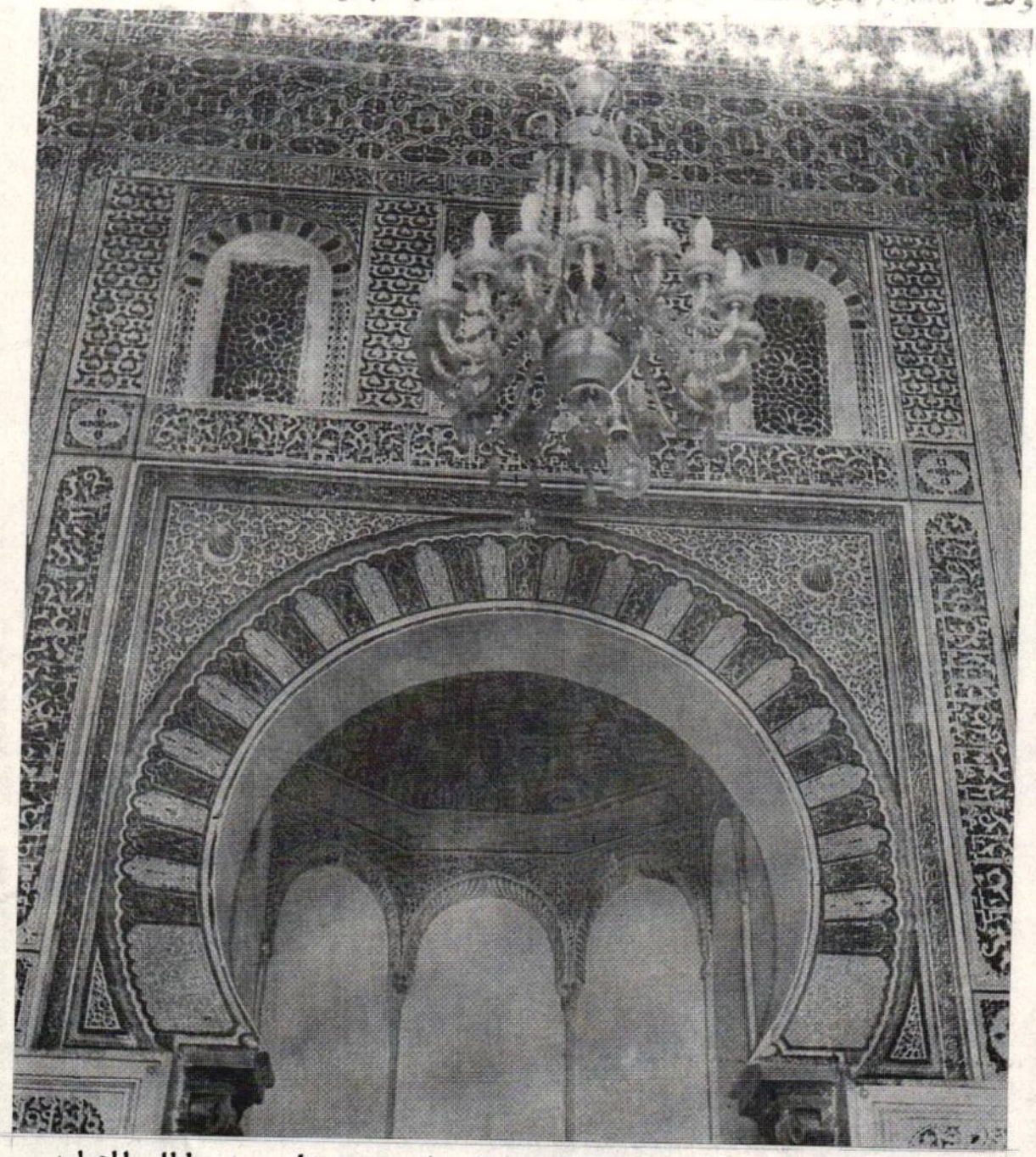

محراب جامع سيدى بومدين ويمتاز بمشكاة فى شكل هندسى سـداسى ، واطار المحراب صنع بدقة متناهية تتجلى فيها نقوش دقيقة ذات جمال وروعة .

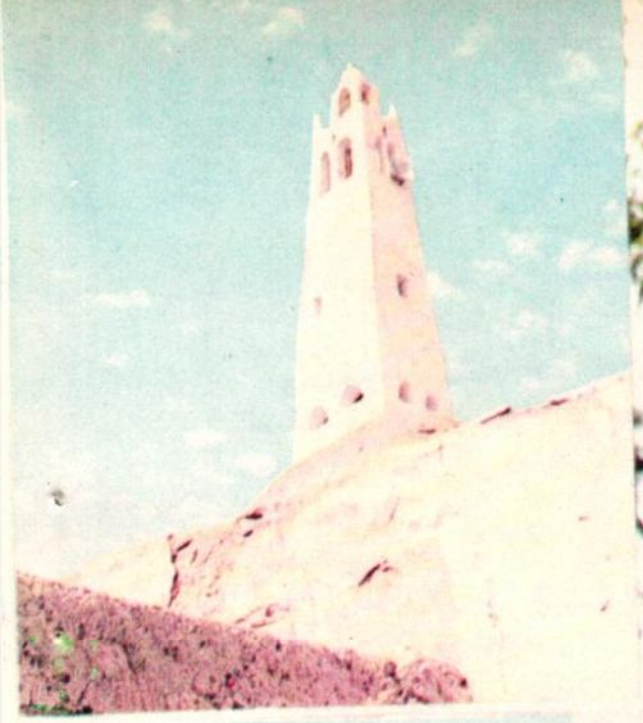

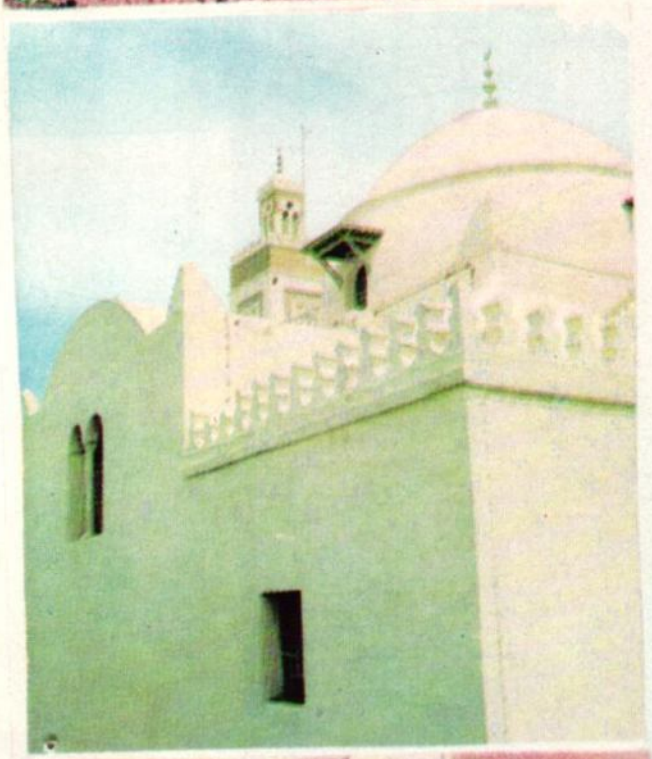

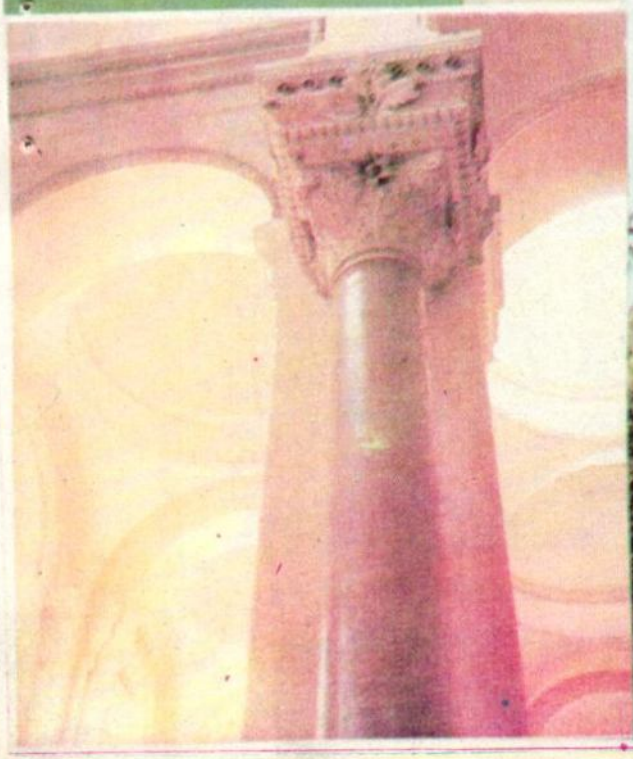

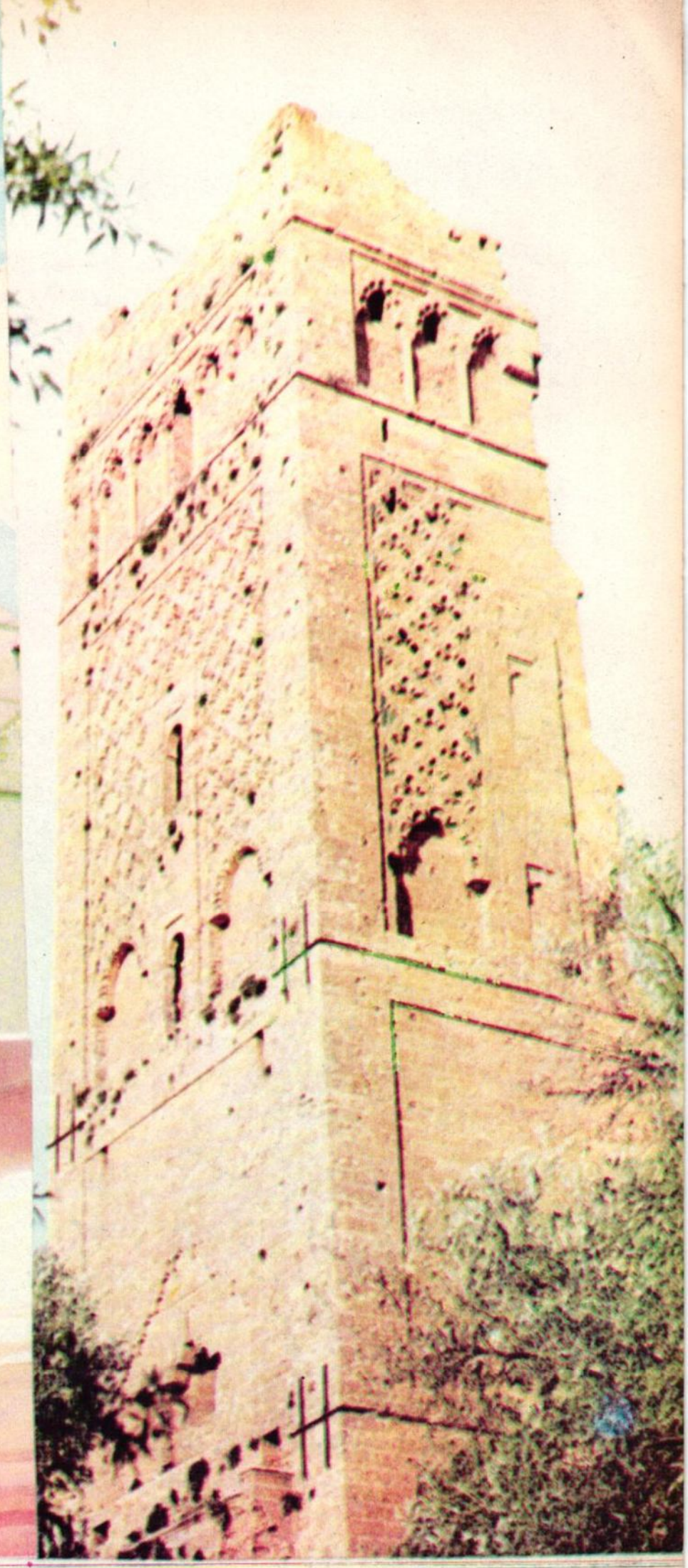

جامع بوشقرون

جامع الحوانين

داخل جامع الحوانين

قبة من العهد التركى

جامع كتشاوه

أقصى اليمين :
صومعة المنصورة وهى برج ارتفاعه ٣٨ مترا وضلعة عشرة أمتار ، وتعتبر أعلا صومعة فى الجزائر .

ان عناصر الهندسة المعمارية فى الجزائر فى العصور الوسطى تناولت الزخرفة بصورة طبيعية تنقل الناظر من وحدة الى اخرى بلطف واستمتاع فالمحراب بالدرجة الاولى والاروقة والأقواس والمساند والتيجان تجعل النظر ينتقل من شكل دائرى أو اسطوانى كشكل العامود الى شكل مربع كقاعدة القوس ومن مساحة مصقولة أو عمودية الى مساحة مموجة أو محنية .

والصرامة الاسلامية التى رفضت تصوير الانسان ، قد ساعدت دون شك على خلق هذه المعجزة الصغيرة للعقل البناء الذى جعل من الزخرفة الاسلامية تحفة فنية رائعة .

وقد أدت هذه الصرامة نفسهافيما بعد بسكان الجزائر الذين يمتازون بالهدوء والصفاء الى ترك الزخرفة نفسها بصورة تدريجية من أجل ابراز الخطوط الرئيسية للبناء .

ان الفن الاسلامى المعاصر وخاصة الفن المغربى الجزائرى يكتفى دائما بزخرفة خفيفة جدا لابراز معالم الهندسة المعمارية وتقييمها .

والبحوث الراهنة الآن للهندسة المعمارية فى العالم بعد اختراع مواد البناء الحديثة تهدف دائما الى التخلص من انحرافات الهندسة المعمارية ، وقد عرف البناة المسلمون فى المغرب وخاصة فى الجزائر كيف يتجهون هذا الاتجاه الفكرى منذ ستة قرون .

ان جغرافية الجزائر الواسعة تقدم لنا فى كل بقعة منها مثلا حيا عن الفن الاسلامى المعمارى القديم ، وتمسك السكان جميعهم بالدين كان عاملا أساسيا من عوامل المحافظة على هذه الكنوز القديمة .

وهكذا تعكس الآثار الاسلامية فى مساجد الجزائر تلك الانجازات التى تمثل قمة الفن المعمارى الجزائرى التى تعتبر مصدرا من مصادر الدراسة الفنية الاسلامية .

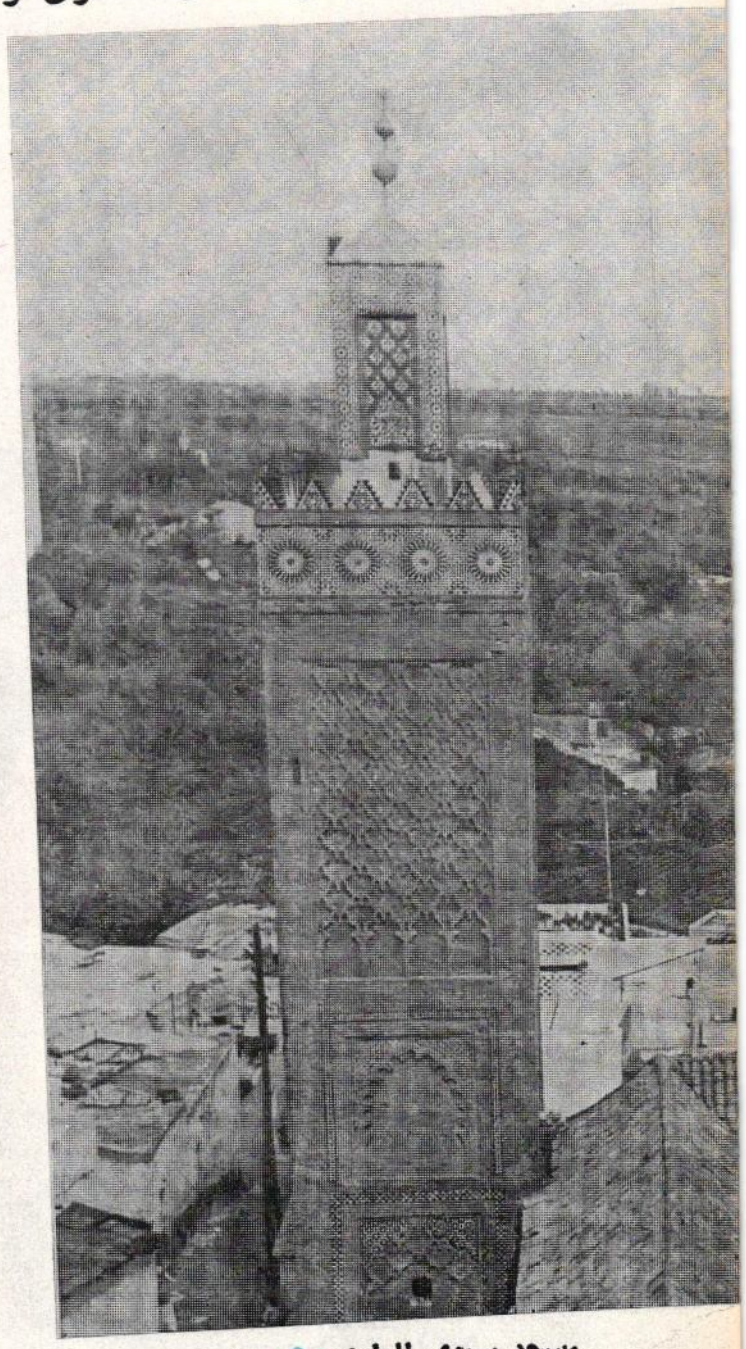

مسجد سيدى العلوى

الصبر في الإسلام

للأستاذ محمد كمال الدين

يعتبر الصبر فى الاسلام من المبادىء التى حث عليها ليقوى ايمان المؤمن ، ويزيد بر البار ، وهو قوة نفسية عظيمة تمد المرء بالرضا والاطمئنان ، وهو سمو على مواطن الضعف والاستخذاء ، واذعان لله على طريق الهدى والرشاد ، ويكفى الصبر مبدأ اسلاميا جليلا أنه يقترن باسم من أسماء الله الحسنى ، فهو (الصبور) ، وهو الذى يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ، وهو الذى يدخل الصابرين جنات عدن ، « **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم** » (الآيتين ٢٣ ، ٢٤ من سورة الرعد) .. ولقد ذكر الصبر فى القرآن الكريم ما يقرب من سبعين مرة ، وهذا لما فيه من خير ، وما يعقبه من أجر ، ومن هذه الآيات الكريمة : « **وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وان اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** » (الآيات من ١٥٥ ـ ١٥٧ من البقرة) ومنها « **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين** » (الآية ١٥٣ من سورة البقرة) ومنها « **لتبلون فى أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور** » (الآية ١٨٦ من سورة آل عمران) ومنها « **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** »

(الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران) ومنها قوله تعالى : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** » (الآيتين ٥٨ ، ٥٩ سورة العنكبوت) ومنها أيضا « **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** » (الآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ سورة الرعد) ومنها « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » (الآيات ١٢٦ — ١٢٨ سورة النحل) ومنها « **وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » (الآية ٣٥ سورة فصلت) .

هكذا يمجد القرآن الكريم الصبر ، ويعتبره عبادة من اعظم العبادات ، ولذا ورد أنه نصف الايمان لعظمة قدره ، وجليل أثره ، وتبدو حكمته عند الازمات ، والشدائد ، حينئذ يصبح الصبر هو عاصم المرء من التخبط ، والنور الذى يبين للمرء الطريق المستقيم ، ويهديه سواء السبيل ، ويقوى صلته بربه ، بالتقرب اليه ، وطلب العون منه .

والصبر فى اللغة معناه حبس النفس عن الجزع ، وذلك على ما يقتضيه العقل والشرع ، وتختلف أسماؤه باختلاف مواقعه ، فحبس النفس عن المصيبة صبر ، وعند القتال شجاعة ، وعند المحافظة على الحقوق أمانة ، وعند الكف عن المحارم درع ، وعند العمل بأوامر الله طاعة وعبادة ، وهو فى كل الاحوال : الثبات والجلد ، واحتمال المكاره فى غير قلق أو ضعف .

ومن معانى الصبر القيام بما فرض الله تعالى من عبادات وطاعات ، كالصلاة والصيام والاحسان لذى القربى واليتامى والمساكين ، والحج ، وغير ذلك من عبادات ، فمن صبر فيها أداها على الوجه الاكمل ، ونال بها أحسن الثواب ، وعمل بما فيها من وجوب الاطمئنان والتمهل ، واستطاع بها أن يكبح هواه ، وأن يتغلب على المغريات .

ومن معانى الصبر أيضا حماية الدين والوطن ، ذودا عن

الارض والعرض ، ودفاعا فى سبيل الله عن الشرف والكرامة ، وحماية لكلمة الله وشرعه أن يمسهما السوء ، وما يتضمنه ذلك من احتمال الأذى فى سبيل الدعوة الى الحق والكشف عن الضلال وتبصرة الناس بالخير .

ومن معانى الصبر الكدح فى سبيل كسب الرزق ، والجد فى ميادين الانتاج ، اذ انه يشحذ العزم ، ويبعث الامل ، ويدعو الى السعى بلا كلل ولا عناء حتى يحصل المرء على مبتغاه ، وينجح فى مسعاه .

ومن معانى الصبر كذلك تقبل قضاء الله بتسليم واذعان ، ويتمثل ذلك فى فقد الأحباب أو نزول الامراض أو حدوث النكبات ، فاذا استسلم المرء لليأس والألم خسر دينه ودنياه ، أما اذا صبر وشكر ، وتماسك وتجلد وبعد عن الجزع : هان عليه الامر ، وتحمل البلاء برضا وايمان ، واستطاع التغلب على الازمة العارضة ، ليخرج منها أكثر ايمانا ، وأكثر قدرة على مواجهة الصعاب والشدائد .

وكما ورد الصبر فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع — كما ذكرنا — فقد ورد فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ومن ذلك قوله : « أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الأمثل فالامثل يبتلى الناس على حسب دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه خطيئة » رواه ابن حبان ، وعن صهيب الرومى — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان ذلك خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيرا له » رواه مسلم .

ويتجلى الصبر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مواقف كثيرة ، نذكر منها لما مات عمه أبو طالب ، واشتدت قريش فى ايذائه ، فخرج الى قبيلة ثقيف بالطائف ليدعوهم الى الاسلام ، ويستنصر بهم على خصومه ، ولكنهم لم يعيروه انتباها ، بل اشتدوا فى ايذائه ، وأغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ، فاذا به يلجأ الى ظل كرمة فى بستان ، ويشكو الى ربه ما فعله به القوم ويقول « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ،

وأنت ربى .. » الخ . وهكذا كان صبره حتى كتب الله له النصر عليهم. كذلك نذكر موقفه صلى الله عليه وسلم حين فقد ابنه ابراهيم . وقد أنجبه بعد شوق طويل للذكور ، حيث وضعه فى حجره الشريف ، والحزن يأخذ منه كل مأخذ . ولكن الايمان بقضاء الله . والاذعان لقراره جعل لسانه ينطق بالحق وان دمعت عيناه : « يا ابراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وان آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك أشد من هذا ، ان العين تدمع . والقلب يحزن . ولكنا لا نقول الا ما يرضى ربنا » .

ولقد كان موقف الرسول الكريم طوال دعوته التى استغرقت ثلاثا وعشرين سنة مثالا للصبر الشجاع ، صبر على بلاء الكفار . صبر فى جهاده فى سبيل الدعوة ، وقد قال يوما لابن عباس : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » جزء من حديث رواه أحمد .

« ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (الآية ١٢٦ — الاعراف) ، **« ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين »** (الآية ٢٥٠ سورة البقرة) .. آمين .

كان موقف القرآن الكريم من الصبر هو موقف التشريع الحكيم : **« انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين »** (الآية ٩٠ — سورة يوسف) ، وكان موقفه مع الرسول الأمين أن يصبر فى دعوته ، حتى يصل غايته : **« واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »** (الآيتين ١٢٧ ، ١٢٨ سورة النحل) ، **« فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون »** (الآية ٦٠ سورة الروم) ، **« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون »** (الآية ٣٥ سورة الاحقاف) .

ولقد كان الرسل جميعا نماذج واضحة لمواقف الصبر البطولية ، وكان لهم بفضله النصر والغلبة ، ولدعوتهم النجاح والانتشار ، ولعلنا نذكر من هذه النماذج الرائعة : قصة نبى الله ابراهيم حين اشتد ايذاء الاعداء له ، وصبر عليهم فى كثير من المواقف حتى كان موقف الذروة حين كاد لآلهتهم وحطمها ، وادعى أن كبير أصنامهم هو الذى فعل هذا ، ولم يصدقوه : **« قالوا**

حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » (الآية ٦٨ سورة الانبياء) ونصبوا له نارا شديدة : **« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »** (الآيتين ٦٩ ، ٧٠ سورة الانبياء . كما نذكر من قصص الانبياء قصة أيوب عليه السلام : **« واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب . وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب »** (الآيات من ٤١ ـ ٤٤ سورة ص) . ومن المعروف أن أيوب عليه السلام كان فى نعمة واسعة ، ووفرة فى الرزق من المال الكثير والاولاد والصحة ، حتى جاءه الشيطان يوما فأنساه ذكر ربه ، فابتلاه الله بفقد المال والاولاد والصحة ، وتذكر أيوب ربه ، بعد أن مكث ستة عشر عاما فى البلاء ، وجعل يستغفر ربه ، حتى استجاب لدعائه ، وعند ذلك تفجرت له عين ماء اغتسل منها فذهب مرضه وعاد اليه ماله وولده .

ومن قصص الانبياء أيضا نذكر قصة سيدنا يعقوب وابنه يوسف الذى كاد له اخوته ، حتى القوه فى غيابت الجب : **« وجاءوا اباهم عشاء يبكون . قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون »** (الآيات من ١٦ : ١٨ سورة يوسف) .

وكانت نتيجة صبر يعقوب ان نجى الله يوسف ومكن له فى الارض ، وجعله على خزائن مصر ، ثم جمعه به وبأخوته ، وكان موقف الأب الحنون حين طلب منه اخوة يوسف أن يستغفر لهم ذنوبهم : **« قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم »** (الآية ٩٨ سورة يوسف) ولعل ابلغ آيات الصبر فى القرآن الكريم ما ورد فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام : **« قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا »** (الكهف ـ ٦٦ : ٦٩) وانطلقا معا ، وتبدى موقف الصبر فى احداث ثلاثة قابلت سيدنا موسى معه ، ومع انه اعلن قلقه فيها جميعا ، ولم يحتمل المواقف ، ولم يصبر حتى النهاية ، ولو انه صبر لعلم أن لكل مشكلة حلا ، ولكل سبب مسببا : **« اما السفينة**

فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا » (الكهف ٧٩) . ولو صبر موسى لعلم الحكمة فى خرق سيدنا الخضر للسفينة : « **وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما »** (الكهف ٨٠ ، ٨١) . ولو أن موسى صبر الى النهاية لعرف لماذا قتل الخضر ذلك الغلام الطالح : « **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك »** (الكهف ٨٢) . وهذه الاحداث الثلاثة جعلها الله اختبارا للصبر ، ودليلا على فائدته : « **وما فعلته عن امرى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا »** (الكهف ٨٢) .

وهناك — الى جانب قصص الانبياء الصابرين — قصص اخرى لأولياء الله الصالحين ، نذكر منها قصة عروة بن الزبير رضى الله عنه حين اصيب فى احد اعضاء جسمه ، وكان قد اصيب فى رجله اصابة كان لا بد معها من بترها حتى ينجو الجسم بأعضائه الاخرى ، وجرت ارادة الله بقطع تلك الرجل ، وصبر على الالم وتحمله ، ولكنه بينما هو فى قمة الالم ، اذ دخل عليه احد اصحابه وحوله جماعة من الناس ، وقال له صاحبه : « لقد جئت أعزيك » ، ورد عليه عروة : « فيمن تعزينى ، انه عضو جرت عليه مشيئة الله ، وكل الى زواله » ، قال له صاحبه : « لا انى اعزيك فى اصغر أولاد ك، لقد دخل يلعب فى حظيرة الخيل فرفسه حصان فمات لساعته ، وانا أرجو ان يسبغ الله عليك الصبر ، ويضيء قلبك باليقين » وكان رد عروة : « الحمد لله الذى اخذ عضوا وأبقى أعضاء ، وأخذ ولدا وأبقى أولادا ، انا لله وانا اليه راجعون » .

ومن قصص الصبر على البلاء ما حكاه عبد الله بن سليمان ابن وهب عن ابيه انه قال : « أصبحت يوما وانا فى حبس محمد ابن عبد الملك الزيات فى خلافة الواثق ، آيس ما كنت من الفرج ، واشد محنة وغما حتى وردت على رقعة أخى الحسن بن وهب وفيها :

محن ابا ايوب انت محلها ... فاذا جزعت من الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به ... عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب فرجة ... ولربما ان تنجلى ولعلها

قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسى فكتبت له :

صبرتنى ووعظتنى فأنا نهـــا وستنجلى بل لا أقول لعلهـــا
ويحلها من كان صاحب عقدها ثقة به اذ كان يحسن حلهـــا

قال فلم أصل العتمة ذلك اليوم حتى أطلقت فصليتها فى دارى.

وبعد ، فهذه مواقف ان دلت على شىء فعلى أن الصبر هو من صفات المؤمنين ، جهادا ، وعمـــلا ، روى عن عبد الله بن مســـعود رضى الله عنـــه انه قال : الفرج والروح فى اليقين ، والرضا والهم والحزن فى الشك والغضب .

وقال ريان بن ثعلب ، سمعت اعرابيا يقول : من افضـــل آداب الرجال انه اذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها ، والهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخـــلاص والفناء توكلا على الله وحسن ظن به ، فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضى الله حاجته ، ويزيل كربته ، وينجح طلبته ومعه دينه وعرضه ومروءته .

وكان يقال الصبور يدرك أحمد الامور ، وروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه قال : « ما أبالى باليسر رميت أو بالعسر لأن حق الله عز وجل فى العسر الرضا والصبر ، وفى اليسر البر والشكر » .

وروى عن ابى سلمة الجهمى عن ابى القاسم عن عبد الرحمن عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن ، فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضـــاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسه أو انزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى ، الا أذهب الله همه وابدله مكان حزنه فرجا » .

فاللهم اجعلنا مع الصابرين « **الذين صـــبروا وعلى ربهم يتوكلون** » (النحل ٤٢) ، والهمنا الصبر فى جميع المواقف ، شدة ورخاء ، انك سميع مجيب .

مائدة القارئ

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

« قرآن كريم »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » .

« حديث شريف »

عمر بن الخطاب

أول من سمى بأمير المؤمنين .

أول من أرخ من الهجرة .

أول من اتخذ الدرة .

أول من امر بصلاة التراويح .

أول من سن قيام شهر رمضان .

أول من ضرب فى الخمر ثمانين .

أول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على اربع تكبيرات .

أول من وضع الدواوين .

بل يصلحهم العدل

كتب الجراح بن عبد الله الى عمر ابن عبد العزيز : إن اهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ، وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط ، فان راى امير المؤمنين أن يأذن لى فى ذلك .

فكتب اليه عمر : أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم ، وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم والسلام .

خير الأمور أوساطها

سئل الحسن بن الفضل : انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن . فهل تجد فى كتاب الله : خير الأمور أوساطها ؟
قال : نعم ، فى أربعة مواضع :
قوله تعالى : (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) .
وقوله تعالى : (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .
وقوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) .
وقوله تعالى : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) .

الفقيه

قال على كرم الله وجهه :

الفقيه ـ كل الفقيه ـ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره . لانه لا خير فى عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها .

الولد وأبوه

قال عبد الرحمن بن ابى بكر لأبيه بعد أن أسلم ـ وكان يوم بدر مع المشركين : ـ

لقد أهدفت لى يوم بدر . فانصرفت عنك ولم أقتلك .

فقال ابو بكر : لكنك لو اهدفت لى لم أنصرف عنك .

خير المكاسب :

- اخوان الصفاء خير مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، ومعونة على الأعداء .
- صديق المرء كمرآته يريه حسناته وسيئاته .
- الصديق من صدقك وده ، وبذل لك رفده .

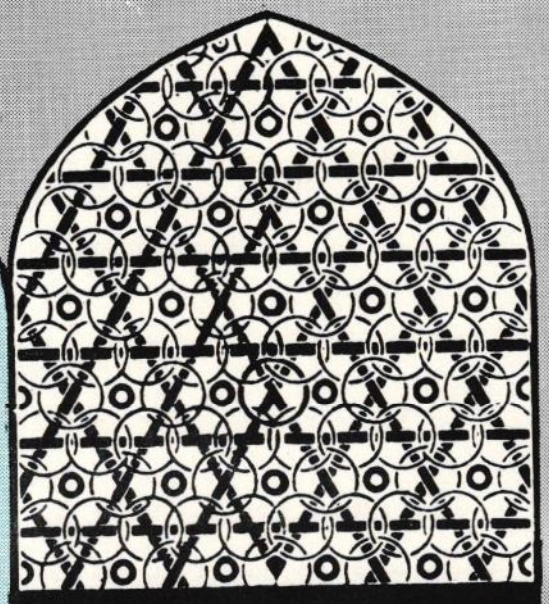

العقل ميزانه في الإسلام

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ــ لا يكون الإنسان إنساناً تصح نسبته الى الإنسانية إلا فى ضمان العقل الذى وهبه الله أبناءَ آدم ، واختصهم به ، وأقامهم به خلفاء على الأرض .. وانه لولا هذا العقل لمَا كان أبناء آدم إلا فصيلة من فصائل الحيوان ، أو جنسا من أجناس الأنعام ، تحكمهم الغريزة ، وتشدهم شدا اليها ، دون أن يكون لهم تصريف معها ، أو مراجعة لها ، أو تحوير وتبديل فى خط مسيرتها الذى تقيمهم عليه .. ومن هنا لَزِمتْ أصنافَ الحيوان وأجناسها الوضع الذى اقامتها الغريزة عليه من أول ظهورها فى الوجود الى اليوم ، وستظل ملتزمةً هذا الوضع الى آخر يومها فى الحياة ، فليس لها ــ والأمر كذلك ــ تاريخ تتعدد صفحاته ، وتختلف أبوابه وفصوله ، جيلا بعد جيل ، أو عصرا بعد عصر ، وانما هى صفحة واحدة ، تضم حياتها كلها ، لا يختلف فيها يومها عن غدها ، أو أمسها .. فلا تتغير صورة الحياة للأبناء والأحفاد ، عن الصورة التى كان عليها الآباء والأجداد ، فى أى لون من الوان الحياة ، وفى أى متجه من اتجاهاتها .. فالفصيلة الحيوانيةُ التى كانت تعيش منذ آلاف السنين أو ملايينها ، هى الفصيلة نفسها التى تعيش اليوم ، فى أسلوب حياتها ، وفى خط مسيرتها في هذه الحياة ..

وليس كذلك الشأن فى الإنسان ــ سواء فى أفراده أو جماعاته ــ حيث ينزع به العقل الذى وهبه الله

تعالى إياه الى مواجهة الطبيعة ، والى التأثر بها والتأثير فيها ، فيُقلبُ وجوهها ، ويبدل صورها واشكالها ، ويلونها بألوان وأصباغ مختلفة حسب ما يمليه عليه العقل ، ويهديه اليه .. ومن هنا كان هذا التبديل والتحوير فى أشياء الطبيعة ، يحلها الانسان ويركبها ، ويخلق من هذا التحليل والتركيب صورا واشكالا جديدة ، يتغير بها وجه الطبيعة يوما بعد يوم ، بما يضيف اليها العقل الانسانى ، وما يحذف من أشيائها التى بين يديه منها ..

ومن هنا كان هذا الذى لبسته الحياة من صنع الانسان ، من أثواب ، كلما بلى منها ثوب ، خلع عليها الانسان ثوبا غيره ، يختلف كثيرا أو قليلا عن سابقه أو لاحقه .. فالانسان الأول الذى كان يسكن الأدغال والكهوف ، ويقتات من خشاش الارض ويشارك الحيوان فى طعامه ومنامه ، قد انتقل من خارج الأدغال والكهوف الى الأكواخ يصنعها بيده ، ويجلب اليها ما يقع له من أشياء يدخرها لغده ، ويعدها لحين الحاجة اليها .. ثم حين اكتشف الانسان النار ، اصطنعها لدفئه فى الليالى الباردة ، ثم لطهى طعامه ، بعد أن كان يأكله كما يجده .. وهكذا أخذ الانسان يخطو كل يوم خطوات جديدة نحو التحكم فى الطبيعة ، وفى تسخيرها لخدمته .. فأقام القصور ، وبنى الحصون ، واتخذ الحيوان مركبا ، ثم ركب البحر ، وامتطى متن الفضاء ، وامتد ببصره الى عالم الكواكب وأخذ يرودها بالمراكب الفضائية ، حتى أمكنه ذلك من أن يضع قدميه على القمر ، يريده عالما جديدا يسكنه ويعمره !

كل هذا ــ لا شك ــ هو من ثمرات العقل ، الذى تعلم به الانسان ما لم يكن يعلم ، وكشف به من أسرار الطبيعة ما كان مغلقا دونه ، متأبيا عليه .. فكان له بذلك هذا السلطان القائم على الارض ، يبسطها ويطويها ، ويمسكها ويرسلها ، حسب ما يوحى به اليه عقله ، وتهديه اليه معارفه التى وصل اليها بهذا العقل ..

● ■ ●

٢ ــ فالعقل هو الانسان مختصرا والانسان هو العقل مفصلا فى هذه الصورة الآدمية ، المشكلة من أعضاء وجوارح ، فاذا لم يكن هذا العقل ساريا فى كيان الانسان ، حاكما ومتحكما فى حركاته وسكناته ، لم يكن هو هذا الانسان ، الذى يقول خالقه جل وعلا فيه : « **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** » ــ التين ونزع عنه هذا الوصف الكريم ، وكان على هذا الوصف الذى دفعه الله تعالى به فى قوله سبحانه فى سورة التين : « **ثم رددناه أسفل سافلين** ــ » وما رد هذا الانسان الى هذا الدرك الذى تردى فيه الا لأنه غفل عن عقله الذى أودعه الله تعالى فيه ، وزهد فى هذا العقل ، وعطل وظيفته ، وأبى أن ينظر به فى هذا الوجود ، ويتهدى به إلى الخير ، ويتوقى به المزالق والعثرات ، شأنه فى هذا شأن ذى العينين السليمتين

يضع عليهما عصابة سوداء ، تحجبهما عن النور ، فلا يعرف ليلا من نهار ، ولا عدوا من صديق ، ولا مهلكة من منجية .. ولو أنه رفع العصابة عن عينيه ، لرأى الليل ليلا ، والنهار نهارا ، ولعرف العدو من الصديق ، ولاستبان له طريق الهلاك من طريق النجاة .. وكذلك هذا الانسان الذى امتهن عقله ، وزهد فيه ، فرد بذلك الى أسفل سافلين ، وتردى فى مهاوى الضلال والهلاك — هذا الانسان اذا آب الى عقله ، واعترف بمكانه ومكانته من وجوده ، عادت اليه إنسانيته ، ورد اليه ما افتقده من منزلته الكريمة بين مخلوقات الله ، وكان من الذين قال الله تعالى فيهم : **« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر »** النصر — ٣ .

وبهذا تصح إنسانيته ، ويصح نسبه الى بنى آدم ، الذين كرمهم الله تعالى بهذه الهبة الربانية ، وهى العقل ، الذى فضلهم الله تعالى به ، وجعلهم به أهلا للخلافة على هذا الكوكب الأرضى ، وسخر لهم كل ما فيه ، وفى هذا يقول الله سبحانه: **« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** الاسراء . ٧) .. ويقول جل شأنه : **« الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الانسان لظلوم كفار »** (ابراهيم ٣٢ — ٣٤) .. وما كان الانسان ظلوما الا لأنه لم يرجع الى عقله ، ولم يرفع الغطاء عن هذا المصباح الذى يكشف له بنوره معالم الطريق الى الحق ، والخير ، وبهذا الظلم لنفسه قد حرمها من الدليل الهادى لها ، والناصح المرشد لسلامتها وأمنها .. وأما أنه كفار ، فلأنه اذ عطل هذا العقل عن النظر فى نفسه ، وفى هذا الوجود من حوله ، فانه من أجل هذا لم يتعرف الى خالقه جل وعلا ، ولم يشهد ماله — سبحانه — من كمال وجلال ، ومن علم ، وحكمة ، وقدرة ، وأنه — جل شأنه — خالق كل شىء ومالك كل شىء ، وأنه واحد أحد متفرد بوحدانيته ، ليس كمثله شىء .. ومن جهل هذا من نفسه ومن خالقه ، لم يقم وجهه لله ، ولم يؤد حق الشكر لله على جليل نعمه ، وعظيم آلائه ، وكان بهذا نغمة شاذة ، غير منتظم فى لحن الوجود المسبح بحمد الله ، وكتلة باردة من لحم ودم ، لا تنبض فيها مشاعر الولاء لله ، فى مقام العبادة مع العابدين ، الذين استجابوا لقول الله تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين »** (الذاريات ٥٦ — ٥٨) .

• ■ •

٣ — وليس يعنينا هنا أن نبحث عن ماهية هذا العقل الذى هو منحة الله تعالى للانسان ، ولا أن نقف عند مقولات الفلاسفة والحكماء عنه ، وهل هو إفراز من إفرازات الجسد وما ركب فيه من أعضاء ، أم هو شىء خارج على الجسد ، متنزل من قوة عليا ، على نحو مقولاتهم المختلفة عن الروح وعن النفس — ليس من همنا الوقوف عند هذه المقولات ، وانما الذى يعنينا هو أن كل إنسان سليم

الخلقة ، سوى التركيب ، يجد فى كيانه قدرة على الإدراك والفهم ، وعلى التمييز بين النافع والضار ، والخير والشر ، وأنه بهذه القوة الكامنة فيه ، يتعامل مع هذا الوجود، ويتصرف فى شئون حياته مع المجتمع الذى يعيش فيه ، محسنا أو مسيئا ، مخطئا أو مصيبا ، مقبلا أو معرضا ، الى غير ذلك مما يمليه عليه عقله ــ أو ما نسميه عقلا ــ دون أن يكون هناك سلطان عليه من خارج ذاته ، يحس به ، ويخضع لسلطانه عليه .. فاذا وقع على الانسان ضغط من خارج ذاته ، وتسلط عليه سلطان يحد من سلطان عقله أو يعطله ، لم يكن ما يصدر عن هذا الانسان حينئذ محسوبا عليه ، أو منسوبا له ..

فاذا لم يملك الانسان حريته ، ولم يجد وجوده مطلقا من كل قيد ، لم يكن ما يصدر عنه موضع نظر فى اضافته اليه ، ومحاسبته عليه فى مقام الاحسان أو الإساءة ، وفى موضع الثواب أو العقاب .

فحرية الانسان ، وتحرره من كل قيد وارد على تلك الحرية من خارج ذاته ، هو شرط أول فى اقامة ميزان حسابه على ما يقول أو يفعل من أقوال وأفعال .. وان أى قانون وضعى أو سماوى ، لا يكفل للانسان ، ولا يضمن له هذه الحرية ، هو غير طبيعى .. فاذا كان وضعيا عد ناقصا ، واذا كان سماويا كان متهما بأنه من عند غير الله ، أو أنه مدخول عليه بالتحريف والتبديل ، لأن ما يصدر عن الله تعالى لا يكون الا على الكمال المطلق الذى لا يعتريه نقص ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهنا أمر ينبغى أن نقف عنده ، وننظر فيه ، وهو تلك القوانين الوضعية أو السماوية ، التى تضبط سلوك الانسان ، وتجدد أسلوب تصرفاته فى الحياة .. الا تعد هذه القوانين ــ وضعية كانت أو سماوية ــ ألا تعد سلطانا قائما على الانسان مقيدا لسلطان عقله ، ملزما له بالخضوع والولاء لسلطان غير سلطان عقله ، وما يمليه عليه هذا العقل من آراء وتصرفات إزاء ما يعرض له من شئون وشئون ؟

ونقول ان هذا الاعتراض مردود عليه من وجهين :

فأولا : ان الانسان ، لا يعيش وحده فى عالم مستقل به ، منقطع عن غيره فيه ، بل انه يعيش فى مجتمع إنسانى ابتداءً من مجتمع الأسرة الصغيرة ، وانتهاءً الى المجتمع الانسانى كله .. وهو لهذا مطالب بأن تكون تصرفاته منسجمة مع هذا المجتمع ، متجاوبة معه ، بحيث لا يضار فرد من أفراد المجتمع بتصرف من تصرفاته ..

وثانيا : أن الناس ليسوا على وزن واحد فى عقولهم ، ولا على حد سواء فى تصرفاتهم ، وما تمليه عليهم نزعاتهم ، فهم لذلك مختلفون أشد الاختلاف فى متجهاتهم ، لتحقيق رغباتهم ، والاستجابة لنزعاتهم ، الأمر الذى لو تركوا فيه وشأنهم لحدث التصادم بينهم ، ولنتج عن هذا التصادم اضطراب الحياة ، وتعطيل مسيرتها ، ووقوع الخلل والفساد فى كل شأن من شئونها ..

فهذه القوانين ــ الوضعية والسماوية ــ إنما هى لتنظم حركة الحياة بين الناس ، ولتوقى التصادم الذى لا بد أن يقع بينهم لو تركوا هكذا من غير قانون ملزم لهم بأن

يرعوا مصلحة الجماعة ، فى الوقت الذى يسمح لهم برعاية مصالحهم ، وبهذا ينتظم خطوهم ، وينفسح المجال لهم .. وذلك أشبه باشارة المرور التى تنظم حركة السيارات المنطلقة فى كل اتجاه ، فى مدينة مزدحمة بها .. فلو تركت الطرقات من غير أن تحكمها هذه الاشارات ، لوقع التصادم ، ولتوقفت الحركة توقفا تاما ..

• ▪ •

وندع القوانين الوضعية التى تخضع لظروف المجتمعات ، كما تخضع للتبديل والتغيير ، نتيجة لما يظهر من نقص فيها عند تطبيقها ، لأنها من وضع بشر ، يجوز عليهم النقص فى تقديرهم ، والخطأ فى تدبيرهم وتفكيرهم ، وهذا ليس عيبا فى الانسان ، لأن النقص بعض من طبيعته ، وانما الكمال لله وحده .. فليس يعيب الناس أن يخطئوا بعد نظر وتفكير وتقدير ، وانما العيب فى أن يكون هذا الخطأ عن قصد وعمد ، اتباعا لهوى ، وإشباعا لرغبة تحكم وسلطان !

ومن هنا كان القانون السماوى ، المنزل من عند الله ، أمرا لا بد منه ، حتى يسد هذا النقص الوارد على الانسان من طبيعته ، سواء أكان فردا ، أو فى جماعة ..

وإنه من الحق أن نقرر هنا أن الانسان — كل إنسان — يولد على فطرة سوية سليمة ، لو تركت وشأنها تنمو فى جو صالح ، بعيد عن المؤثرات الغريبة التى تدخل عليها من الخارج ، لكانت قوة دافعة الى الحق والخير دائما ، آخذة بيد صاحبها الى كل ما هو حق وخير ..

ولكن هناك مسارب من الظلام ، والضلال ، تتسرب الى الانسان منذ أن يولد ، وتتداعى عليه من بيئته ، ومن الوسط الإجتماعى الذى يعيش فيه ، فتغير من هذه الفطرة ، وتشوه بعض معالمها ، وتلقى عليها ظلالا معتمة ، فتضل طريقها ، وتحتويها الحيرة والاضطراب ، فتتعثر حينا ، وتستقيم حينا ، وقد يكون تعثرها مزلقا إلى هاوية لا تخرج منها أبدا ..

ولهذا ، كان القانون السماوى ، الذى بُعث به رسل الله ، وحملته كتب الله ، هو الضمان لتلك الفطرة أن يقيلها من عثراتها ، وهو النور الذى يبدد من حولها الظلام الذى أحاط بها ، اذا هى فاءت اليه ، واعتصمت به ..

يقول الامام الشاطبى :

« إنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية فى العالم ، من أول الدنيا الى اليوم ، أن العقول — وهى نتاج الفطرة وما تلبس بها من ظروف الحياة وأحوالها — غير مستقلة بمصالحها ، استجلابا لها ، أو بمفاسدها ، استدفاعا لها .. لأنها — أى هذه المصالح — إما دنيوية ، أو أخروية .

« أما الدنيوية ، فلا يستقل باستدراكها على التفصيل البتة ، لا فى ابتداء وضعها أولا ، ولا فى استدراك ما عسى أن يعرض فى طريقها ، اما فى السوابق ، واما فى اللواحق ، لأن وضعها أولا لم يكن الا بتعليم من الله تعالى ، لأن آدم لما أنزل الى الارض علم من الله كيف يستجلب مصالح دنياه ، إذ لم يكن ذلك من معلومه أولا ، الا على قول من قال : ان ذلك داخل تحت قول الله تعالى : « **وعلم آدم الأسماء كلها** »

(البقرة ـ ٣١) . وعند ذلك يكون تعليما غير عقلى ، ثم توارثته كذلك ذريته جُملةً ، لكن فرعت العقول من أصولها تفريعا تتوهم أنها مستقلة به.

ثم يقول الامام الشاطبى :

« فلولا أن منّ الله على الخلق ببعثة الأنبياء ، لم تستقم لهم حياة ولا جرت أحوالهم على كمال مصالحهم .. فالعقل غير مستقل ألبتة ، ولا يبنى على غير أصل ، وانما يبنى على أصل مُسلم على الاطلاق ..

والذى يقرره الامام الشاطبى ، هو واقع مشاهد ، يكاد يكون فى حكم البدهيات .. فالانسان بعقله فى حاجة دائما الى حراسة أمينة تقوم عليه ، وتتعهده بالرعاية ، والتوجيه، كما يتعهد الأب صغاره ، وكما يتعهد الزارع زرعه ، وإلا عدت عليه الآفات وأتت عليه المهلكات ، فلم يطلع زهرا، ولم ينضج ثمرا ..

٤ ـ هذا ، وليس قولنا بهذا الهدى الربانى المرسل من عند الله رحمة بعباده على أيدى رسله ، وما أنزل عليهم من كتبه ، تحمل الى الناس شرع الله تعالى ، وما رسم لهم من معالم ، وما حد لهم فيها من حدود ، إذا هم استقاموا عليها هدوا ورشدوا ، وسعدوا فى الدنيا والآخرة جميعا ، وان هم خرجوا عليها ، واخذوا طريقا غير طريقها ، ضلوا وغووا ، ولبستهم الشَّقْوة فى الدنيا والآخرة جميعا ـ ليس قولنا هذا ، بالذات يجور على مكانة العقل ، وعظيم شأنه وقدره فى بناء الحياة المادية والروحية للانسان ، وفى إسعافه بخطه الطيب من الحياة الدنيوية والأخروية ، إذا هو أخذ وضعه الصحيح فى الانسان ، وقام بأداء وظيفته على وجهها ..

فالعقل هو السبيل الى معرفة شرع الله تعالى ، وهو الوسيلة التى يتوسل بها الى ما يدعو الله تعالى اليه من معروف ، وما ينهاه عنه منكر وإنه لولا هذا العقل ما كان الانسان أهلا لخطاب الله تعالى ، ولا كان موضعا لحمل التكاليف الشرعية التى يكلف الانسان العاقل الرشيدُ بها من عند الله .. ولهذا لم يكن الصبىّ ، ولا المجنون ، ولا المعتوه ، ممن لم تنضج عقولهم ، أو غابت عنهم عقولهم ـ لم يكن أحدٌ من هؤلاء أهلا للتكليف ، ولا موضعا للحساب والجزاء ..

واذا كان هناك من ينكر على العقل وجوده ، مع شرع الله ، فلا يرى للعقل حقا فى أن ينظر فى هذا الشرع ، ولا أن يتعرف على بعض الحكمة فى إتيان ما أمره الله تعالى بإتيانه من طاعات ، وقربات ، واجتناب ما أمر الله باجتنابه من مآثم ومنكرات ..

واذا كان هناك أيضا من يجعل العقل سلطانا حاكما على الشرع ، يَرُد اليه كل مقررات الشرع وأحكامه فما قبله العقل من مقررات الشرع وأحكامه ، قبله ، واستقام عليه ، وما لم يقبله ، ولم يرضه ، تركه ، وأعرض عنه .

نقول : ان كلا الفريقين جائر عن الحق ، ضالٌ عن سواء السبيل ..

فالذين ينكرون على العقل مكانه من النظر فيما يأتيه من شرع الله ، هم يُعطلون نعمةً من نعم الله ،

أرادها الله تعالى أن تكون عينا مبصرة للانسان ، يرى بها جلال عظمة الله ، وكمال علمه ، وحكمته ، وقدرته سواءً أكان هناك رسولٌ من عند الله ، أو كتاب منزل من عنده ، أو لم يكن هذا أو ذاك .. فالانسان مطالب بأن يكون دائما ذاكرا ربه ، ناظرا ومفكرا فى بديع صُنْعه ، وعظيم آياته ، فيما أبدع وصور ، فى ملكوت السموات والأرض ، يقول الله تعالى : « **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض** » (يونس — ١٠١) ويقول جل شأنه : « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** » (ق — ٦ — ٨) .. ويقول جل شأنه فى مقام من مقامات ذكره من عباده المؤمنين : « **إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار** » (آل عمران ١٩٠ — ١٩١) .

ولم يسأل هؤلاء الذين ينكرون على العقل وجوده فى أضواء شرع الله — كيف يكون ذكر الله ؟ ومن أين تفيض مشاعر الخشية والجلال لله ، وليس ثمة عقل يُدرك ، ويعى ، ويتأثر ، وينفعل بما أدرك ووعى ؟ وما الفرق إذن بين من يعقل ومن لا يعقل ؟ ومن يعلم ومن لا يعلم ؟ والله سبحانه وتعالى يقول : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » (الزمر ٩) .. ويقول جل شأنه : « **وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات** » (فاطر ١٩ — ٢٢) .. فقد جعل الله تعالى أصحاب العقول المبصرة الفاهمة هم الأحياء فى الناس ، على حين جعل — جل شأنه — الذين لا يفكرون ، ولا يفقهون من عالم الأموات ، وان كانوا معدودين فى عالم الأحياء .. وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « **أموات غير أحياء** » (النحل — ٢١)

كذلك لم يسأل هؤلاء الذين أعطوا العقل سُلطانا فوق سلطانه ، وأقاموه فى هذه العزلة الباردة ، منقطعا عن أمداد الله ، مستغنيا عن هُداه ، فحجبوه بذلك عن النور الذى يهديه ، وعن الزاد الذى يتزود به فى مسيرة حياته ، نحو مواقع الحق ، ومجانى الخير !!

نقول ولم يسأل هؤلاء الذين يضعون العقل بهذا الأفق العالى ، دون أن تكون له أجنحة يحلق بها — لم يسألوا أنفسهم : ماذا يضير العقل اذا هو اهتدى بهذا الهدى الربانى ، واتخذه رفيقا يؤنسه ، وهاديا يهديه ؟

الم يرد العقل موارد العلم ينهل من كل مورد منها ما قدر عليه ، وبلغه جهده ؟ وهل بلغ العقل الانسانى ما بلغ من علمٍ ومعرفة الا بما تلقى من يد الحياة من زاد العلم والمعرفة ؟ وهل اختلف الناس ، إدراكا ، وفهما الا باختلاف حظوظهم من هذا الزاد الذى زودتهم الحياة به ، من تعاملهم معها ، وتقليب أنظارهم فى مختلف وجوهها ؟

فلم إذن يُفرض هذا الحرمان على العقل أن يرد شريعة السماء ، وأن يستقى من ينابيعها الصافية العذبة ، وأن يقطف من ثمارها الطيبة المباركة ؟ وهل من العدل ، ومن العقل

ان يطلق العنان للعقل ، يهيم فى كل واد ، ويأخذ كل طيب وخبيث ، مما على الأرض من خير وشر ، ثم يراد للعقل أن يبتعد عن المائدة السماوية الممدودة له من الله ، وأن يطلب اليه أن يعافها ويزهد فيها ، مستغنيا بما يقضم من هذا المرعى الأرضى المشوب بتراب الأرض وطينها ؟ أفهذا مما يقبله العقل نفسه ، إذا لم يركبه الغرور ، ويستبد به العناد ؟

إن كلا الفريقين ـ الفريق المستعلى بالعقل الى الحد الذى يجعل منه إلهاً قائما على الارض ـ والفريق الهابط بالعقل الى عالم البهائم ـ كلا الفريقين بعيد عن الحق ، ظالم للعقل .. فليس العقل إلهاً مع الله ، وليس العقل أداة معطلة ، وانما هو قوة منتجة فعالة ، ولكنها قوة تعتمد على جناحين ، جناح أرضى ، وآخر سماوى وان كلاً من الجناحين يساند الآخر ، ويحفظ توازن الانسان فى صعوده أو هبوطه ، تماما كجناحى الطائر ، حين يحلق فى الجو ، أو يستوى على الأرض ..

هذا ، وقد غالى المعتزلة فى قدر العقل ، واعتبروه قادرا على امتلاك ناصية الانسان ، وإقداره على تحديد خط سيره ومصيره ، واتفقت فرقهم المختلفة على أن العبد قادر خالق لأفعاله ، خيرها وشرها ، دون أن يكون خاضعا فى هذا لقوة عليا مؤثرة فى خلق أفعاله ، واذ كان الانسان ـ بما فيه من عقل ـ يملك هذا الاستقلال والتفرد فى خلق أفعاله ، فهو لهذا مستحق للثواب والعقاب ، فيثاب على الحسن من أفعاله ، ويعاقب على السيء منها .. وقالوا لو أن الله تعالى كان مريدا لفعل الشر ممن يفعلونه ، ثم عاقبهم عليه لكان ظالما ، وهو سبحانه منزه عن الظلم . وإذن فالعبد هو الذى يخلق كل أفعاله ، حسنها وقبيحها .. هكذا يقولون فى جراة على الله ، وباحتكام مطلق الى العقل البشرى..

وكما غالى المعتزلة فى نظرتهم الى العقل وتقديرهم لمنزلته ، فكذلك جارت بعض فرق المتصوفة . على العقل . وكادت تلغى وجوده ، وتنكر مقامه فى كيان الانسان ، وأثره فى تصريف شئونه فى الحياة ، إذ يحيلون كل أفعال الانسان الى القدر المحتوم . والحكم المحكوم ، وهذا معناه نفى المسئولية عن الانسان ، الأمر الذى لا يفرق فيه بين حسن وقبيح ، وبين من يحسن ومن يسيء .. وهذا من شأنه أن يفسد نظام الحياة الانسانية ويحيل المجتمع الانسانى الى قطيع من الحيوان ، ليس بين أفراده فاضل أو مفضول !!

● ■ ●

٥ ـ وقد جاء الاسلام فوضع الانسان بمكانه الصحيح بين المخلوقات فهو ليس من عالم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وليس من عالم الشيطان الذى هو شر محض .. بل الانسان مزيج من الخير والشر ، يحسن ويسيء ، ويعلو ويهبط .. وكذلك العقل الانسانى ، يجمع بين القوة والضعف ، ويحلق فى السماء ويهبط الى الأرض ..

والانسان مطالب بأن يرعى هذا الغرس الطيب فيه ، وأن ينميه ، حتى لا تكثر فيه النباتات الطفيلية المتسلقة ، فيمتص ماء الحياة منه ، وتحيله هشيما تذروه الرياح .. وفى هذا يقول الله تعالى : **((ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها .**

قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دسّاها » (الشمس ٧ ــ ١٠) .

ان الاسلام يعترف بالعقل الانسانى ويجعل له سلطانا له شأنه فى استقامة الانسان أو انحرافه ، وأن هذا العقل اذا اهتدى بنور الله ، واستقام على طريق هذا النور ، ضمن السلامة والسعادة فى الدنيا والآخرة ، وانه اذا استبد به الغرور ، وركبه الجهل والعناد ، فلم يقبس من هذا النور الإلهى ضل وشقى ، وورد موارد التهلكة : **« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »** (النور ٤٠)

والانسان ــ فى الاسلام ــ مسئول ، ومحاسب على تقصيره فى حق عقله ، اذا هو لم ينتفع به فى الحياة ، ولم يحتكم اليه فى كل ما يعرض له من ماديات ومعنويات .. فاذا ما افتقد الانسان هذا العقل ــ خلقة أو عرضا ــ لم يكن موضعا للحساب والجزاء .

يقول الامام الغزالى ، فى مقام الحديث عن العقل ، ومكانته فى هداية الانسان :

« أعلم ان شرف العقل هو من حيث كونه مظنة العلم والحكمة ، وآلة لهما .. ونفس الانسان هى معدن للعلم والحكمة ، ومنبع لهما ، وهما مركوزان فيها فى أول الفطرة ، بالقوة لا بالفعل ، كالنار فى الحجر ، والنخلة فى النواة ..

ولا بد من مسعى فى إبراز العلم والحكمة بالفعل، كما لا بد من مسعى فى حفر الآبار لخروج الماء من الأرض وغرس النواة وسقيها لتخرج النخلة الكامنة فيها .

ثم يقول الغزالى :

« ولكون العلوم مركوزة فى النفس كما يقول الله تعالى : **« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى »** (الاعراف ١٧٢ .. فالمراد بهذا إقرار نفوسهم ، المعنى الذى أشرنا اليه ، من كون العلوم مركوزة بالقوة وليست موجودة بالفعل ولو كانت موجودة بالفعل لأقروا بألسنتهم دون نفوسهم .. والى ذلك يشير قوله تعالى أيضا :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها » (الروم ٣٠) .. فكل إنسان فطر على الايمان ، وما جاء الأنبياء الا بتوحيد الله .. ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة ، انقسم الناس الى من أعرض ونسى ، وهم الكفار ، والى من أجال خاطره ، فتذكر ، وكان كمن حمل شهادة فنسيها ثم تذكرها ، ولذلك قال الله تعالى : **« لعلهم يتذكرون »** (البقرة ٢٢١) .. **« وليذكر أولو الألباب »** (ابراهيم ٥٢) .. **« واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به »** (المائدة ٧) .. **« ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر »** (القمر ١٧) ..

« والتذكر ضربان : أن يتذكر المرء صورة كانت مكتسبة فى قلبه بالعقل ثم غابت عنه .. وضرب آخر ، وهو أن يكون تذكره لصورة مضمنة بالفطرة فى الانسان ، ولذلك قال المحققون : التعلم ليس يجلب للانسان شيئا من خارج ، بل يكشف الغطاء عما حصل فى النفوس بالفطرة ، كحال مظهر الماء من الارض ، ومظهر الصور فى المرآة بالجلاء .

ويزيد الامام الغزالى الأمر وضوحا حين يتحدث عن العقل ، ومكانه من الشرع ، فيقول :

« اعلم أن العقل لن يهتدى الا بالشرع ، والشرع لن يتبين الا بالعقل والشرع كالبناء ، ولن يغنى أس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس ..

« فالعقل كالبشر ، والشرع كالشعاع ، ولن يغنى البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يغنى الشعاع ما لم يكن بصر ، ولهذا قال الله تعالى : **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه »** (المائدة ١٥ ، ١٦) ..

« العقل كالسراج ، والشرع كالزيت الذى يمده ، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت ، وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : **« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء »** (النور ٣٥) .. فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان ، بل متحدان ، ولكون الشرع عقلا من خارج ، سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر فى غير موضع من القرآن ، كقوله تعالى : **« صم بكم عمى فهم لا يعقلون »** (البقرة ١٧١) .. ولكون العقل شرعا من داخل فقد قال تعالى فى صفة العقل : **« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم »** (الروم ٣٠) .. فسمى ـ سبحانه ـ العقل دينا ، ولكونهما متحدين ـ أى العقل والشرع ـ قال: **« نور على نور »** أى نور العقل ، ونور الشرع .. ثم قال : **« يهدى الله لنوره من يشاء »** فجعلهما نورا واحدا .. فالشرع اذا فقد العقل لم يظهر به شىء وصار ضائعا ـ كما يضيع الحق عند الجهلاء ـ ضياع الشعاع عند فقد نور البصر .. والعقل اذا فقد الشرع عجز عن اكثر الأمور عجز العين عند فقد النور » .

● ■ ●

٦ ـ لقد حرصنا على أن ننقل رأى الامام الغزالى هنا ، وحكومته فى قضية العقل والشرع ، لأن الغزالى ، كان أول الأمر فيلسوفا ، أراد أن يصل بعقله ـ عن طريق الفلسفة ـ الى الحق الذى يطمئن اليه قلبه .. ثم لما لم ينل طلبته عن هذا الطريق ، انتقل الى الطريق المضاد للعقل ، بعد أن ازدراه ـ وزهد فيه ، وبدا له أن العقل هو الآفة التى تحجب طريق الوصول الى عالم الحق ، والاتصال به ، فسلك بهذا طريق التصوف ، وكاد يغرق فى متاهات التواجد والشطحات ، لولا أن أدركه عقله الفلسفى ، الذى لزم صحبته ، وظل على قرب منه .. وهنا كان موقف الغزالى الذى اتخذه فى هذا الطور الأخير من حياته ، وهو موقف يجمع بين العقل والشرع حيث يأخذ كل منهما مكانه فى الانسان إذ لا حياة له بأى واحد منهما دون الآخر ..

وهذا الموقف الذى وقفه الغزالى من المؤاخاة بين العقل والشرع ، هو الموقف الذى يرتضيه الاسلام ، ويدعو

أتباعه اليه ، فالاسلام اذ يحمل الى الناس شرع الله تعالى اليهم ، لم يسلبهم حق عقولهم من النظر والتفكير فيما جاءهم من عند الله ، ولهذا كان من الأسس التى قام عليها الاسلام : أنه لا إكراه فى الدين ، كما يقول الله تعالى : **« لا إكراه فى الدين »** (البقرة ٢٥٦) وكما يقول سبحانه لنبيه الكريم : **« أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »** (يونس ٩٩) .. وكما يقول جل شأنه : **« إنما أنت مذكر . لست عليه بمصيطر »** (الغاشية ٢١ ، ٢٢)وذلك أن أى رأى ، أو معتقد يفرض على الانسان فرضا من غير أن يكون له نظر فيه ، أو تقدير له ، لا يمكن أن يقوم فى كيان الانسان مقاما متمكنا مطمئنا ، ولا يمكن أن يتولد عنه عمل تغذيه رغبة ، أو تنعقد عليه نية ، أو تمضيه عزيمة ..

لهذا كان العقل فى الاسلام ركيزة قوية من ركائز هذا الدين ، وان ميزان العقل فى الاسلام ليرجح بمقدار ما فيه من علم ومعرفة ، فيعظم قدر العقل أو يصغر بما حصله من علم ، وبما وقع له من هذا العلم من حسن إدراك ، وسلامة فهم وفقه ، ولهذا كان مما امتن الله تعالى به على رسوله الكريم ذلك المعلم الإلهى الذى علمه إياه ، كما يقول سبحانه : **« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما »** (النساء ١١٣) .. ويقول سبحانه فيما أنعم به على العبد الصالح — صاحب موسى عليه السلام — والذى جاء اليه موسى ليتعلم منه ما علمه الله من علم : **« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما »** (الكهف ٦٥) .

وابواب العلم كثيرة فسيحة ، لا حصر لعددها ، ولا حد لانفساحها .. وانه مهما انفق الانسان من جهد ، ومهما بلغ من علم ، فانه لا يزال على شاطىء هذا المحيط الذى لا نهاية له .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : **« وفوق كل ذى علم عليم »** (يوسف ٧٦) .. وقوله جل شأنه : **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** (الاسراء ٨٥) ..

ولما كان العقل ، وما يحصله من علم ، هو الطريق الى الله ، والدليل الى التعرف عليه ، والايمان به ، فان أقرب الناس الى الله هم العلماء الذين فتح لهم العلم بصائر تنظر بنور الله ، وتتهدى به الى مواقع الخير ، والحق ، والاحسان .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : **« إنما يخشى الله من عباده العلماء »** (فاطر ٢٨) .. وقول الرسول الكريم : « العلماء ورثة الأنبياء » . أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه . من حديث أبى الدرداء ..

وهذا — لا شك — هو بعض السر فيما جاء فى القرآن الكريم من ذكر كثير للعلم ، فى مقام التنويه به ، والحمد لأهله .. فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته أكثر من خمس وسبعين وسبعمائة مرة .. الأمر الذى لم يكن لمعنى من المعانى غير هذا المعنى الكريم ، وذلك لما له من آثار جليلة ، وثمرات طيبة مباركة ، حيث كان ، وفى أى موقع وجد .

وانه ليكفى العلم شرفا ، وجلالا ، وعظمة أن كان لأكثر من صفة من صفات الكمال لله ، فهو — سبحانه — عالم ، وعليم ، وعلام .

فمن لم يكن من المسلمين على غير علم فى دينه ودنياه ، فان هيهات أن يسلم له دين ، أو تطيب له حياة .. والعقل هو وعاء العلم ، وخزانة جواهره التى ينفق منها صاحبه ، وينال بها رغائبه من كل خير فى دينه ودنياه جميعا .. ولم يحرم الله تعالى أحدا من هذه النعمة الجليلة الكريمة ولكن المحرومين منها هم الذين أهملوها ، أو نسوها ، أو أفسدوها ، فجنايتهم على أنفسهم ، وانه لا خلاص لهم مما فيه الا بايقاظ عقولهم من رقدتها ، وتوجيهها الى مجالس العلم ، حيث تغتذى عقولهم ، وترشد مداركهم ، وتستضيىء بصائرهم ، وتستبين لهم معالم الطريق الى الحق والخير ، فلا يضلون مع الضالين ، ولا يهلكون مع الهالكين : « **أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ، أمّن يمشى سويا على صراط مستقيم** » (الملك ٢٢) .

الحرفة :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « انى لأرى الرجل فيعجبنى ، فأسأل اله حرفة .. ؟ فان قيل : لا .. سقط من عينى » .

القيام :

قال صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ، وايقظ امراته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء ، ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء » .

أدب رفيع :

قال تعالى : « **يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » .

أدب الاعتذار :

قال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين غضب عليه :
ـ يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجل عن العقوبة ، ونحن مقرون بالذنب ، فان تعف عنى فأهل ذلك أنت ، وان تعاقبنى فأهل ذلك أنا .

الفتاوى

التبنى ..

السؤال :

وجدت طفلا لقيطا وفرحت به زوجتى لأننا لا ننجب أطفالا فما حكم التبنى لهذا الطفل .. ؟

الجواب :

التبنى بمعنى جعل الطفل ابنا لمن يتبناه بحيث يترتب على هذا التبنى ان يأخذ الميراث وان يثبت له النسب وكل أحكام البنوة من اباحة اختلاط وحرمة زواج وغير ذلك . هذا التبنى باطل فى الاسلام سواء كان الطفل معروف النسب أم مجهول النسب لقوله تعالى : « **وما جعل ادعياءكم أبناءكم** » وقوله تعالى : « **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم** » .

ولا خلاف بين الائمة فى هذا الحكم وبه بطل ما كان معروفا فى الجاهلية وصدر الاسلام من التبنى .

اما التبنى بمعنى كفالة الطفل وحفظه من الهلاك واعاشته وتربيته والقيام بشئونه دون الحاق النسب بمن يتولى أمره فهذا محمود فى الدين .

وبهذا يثبت لكما أجر تربية طفل تعرض للضياع وسواء كان الطفل من ابوين مسلمين أم غير مسلمين فهو مسلم لان كل مولود يولد على الفطرة ولان مجهول النسب مسلم حكما لوجوده فى دار الاسلام .

... — ...

التداوى فى الاسلام

السؤال :

بعض المرضى تكتب له آيات من القرآن الكريم فى اناء ثم تمحى بالماء ثم يؤمر بشربها بقصد التداوى .. فهل هذا جائز شرعا .. ؟

الجواب :

ان القرآن الكريم لم ينزله الله دواء لامراض الابدان وانما انزله الحق سبحانه دواء لأمراض القلوب وجعله شفاء لما فى الصدور قال تعالى : (**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**).

وقال : « **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** » فلا ينبغى بعد هذا البيان القرآنى ان تكتب الآية القرآنية الحكيمة فى اناء ثم تمحى بالماء ثم يؤمر المريض بشربه او

ان تكتب الآية فى ورق صغير ويحـــرق ويبخر بها المريض كما يفعل بعض العوام . لأن هذا انحراف بالقرآن الكريم عما أنزل لأجله واستغلال لأصحاب العقـــول الضعيفة وصرفها عن العلاج المطلوب ، ومعلوم ان الأمراض البدنية قد خلق الله لها عقاقير طبية وجعلها من أسباب الشفاء ، وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مريض يعوده فلما رآه طلب من اهله أن يرسلوا الى طبيب فقال قائل وأنت تقول ذلك يا رسول الله .. ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم ان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له دواء .

وهذا ارشاد نبوى وتعليم للأمة ان التداوى من الأمراض البدنية انما يكون عن طريق الطب الـــذى يتوصل الى معرفة الداء ثم يصف له الدواء ، هذا هو الواجب فى معالجة الأمراض البدنية ، أما أمراض القلوب ففى اشراقات القرآن شفاؤها ودواؤها اذا تدبرته وتفتحت له وكم عالج القرآن الكريم مرض الجهـــل بالعلم ومرض الشبهة بالبرهان وصدق الله تعالى اذ يقول : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » .

... ـــــ ...

حول تربية الـــــكلاب

السؤال :

ما حكم اقتناء الكلاب وهل تبيح الشريعة الاسلامية اتخاذها للترف واللهو واصطحابها كما نرى ذلك عند بعض العائلات فى عصرنا الحاضر .

الجواب :

مما لا شك فيه ان الكلب المعلم يؤدى خدمات نافعة لاستخدامه فى حراسة الماشية وحراسة المزارع وفى مصالح أخرى مثل انقاذ الغرقى على الشواطىء واقتفاء آثار المجرمين ويستعمله الانسان فى صيد الحيوانات كما أشار الى ذلك القرآن الكريم يقول الله تعالى فى سورة المائدة : « **يسالونك ماذا أحل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه** » .

فاتخاذ الكلاب للأمور النافعة بعد تعليمها وتدريبها على القيام بها جائز شرعا ويجب على من اقتنى كلبا من هذا النوع ان يتخذ الاحتياطات التى أمر بها الشارع من ان الكلب اذا ولغ فى اناء فانه يغسل سبع مرات احداهن بالتراب وأنه لا يسمح للكلب بدخول المكان المخصص للنوم أو الأكل أو المعيشة .

أما انواع الكلاب التى لا تستخدم فى الامور النافعة فلا يجوز اقتناؤها وذلك مثل من يقتنيها للتدليل واللهو أو يتخذ منها تابعا له يركبه معه فى السيارة أو يجعله فى البيت بلا حاجة اليه أو ليلعب به الأولاد ـــ وذلك لأن الكلب نجس وكل ما لحسه الكلب من الآنية والثياب نجس فى مذهب أكثر العلماء .

ومن المؤسف أن بعض العائلات تخصص مبلغا من ميزانية البيت لاطعام الكلب من لحم وغيـــره وقد يصل هذا المبلغ الى رقم يكفى عائلة من العائـــلات الفقيرة وما ينبغى أن نحرم مجموعة من الأفراد الجائعة ونطعم كلبا ليس فى اقتنائه اية فائدة . كما أن الأبحاث الطبية اثبتت ان هذا النوع من الكلاب مع تطهيرها تحمل أنواعا عديدة من الطفيليات الخطيرة التى تصيب الانســـان والحيوان على السواء .

جهل وافتراء

ودفاع عن الشريعة الإسلامية

للأستاذ
سعد صادق محمد

عثرت ـ بطريق الصدفة ـ على مجلة اسبوعية ، بها مقال لأحد رجال القانون فى جامعة كبيرة ، بها هذه البهتة الجهلاء « ان الرجوع الى النظم الاسلامية بعد ان ادمجنا قوانينا فى مجموعة القوانين التى يسير عليها المجتمع الدولى ، ينطوى على معنى الرجعية المناهضة لسنن التطور » .

ذلك نص ما كتبه ذلك الأستاذ المربى الذى وكلت اليه الدولة مهمة تربية فريق من شبابنا ، وارشادهم الى الطريق الصحيح الذى يستطيعون به خدمة أمتهم ووطنهم ، ويسعون لتحقيق المثل العليا للقيم الدينية ، والخلقية ، والاجتماعية ، وتقويم ما يعرض عليهم من قضايا الحياة بالحق والعدل . . لكن الأستاذ المربى راى ان خير ما يلقنه للشباب هو : أن المجتمع الدولى احكم واعدل من الله ، وان شرعة الله لا تستطيع اقامة الحق ، ولا نشر الفضائل ، ولا ان تأتى بالخير والعدل وان الحكم بكتاب الله رجعية تناهض سنن التطور .

ولقد شخصت ببصرى طويلا الى اسم ذلك المربى الفاضل ، لعلى اقف منه على ما يدلنى على قومه ودينه ، غير انى مع شديد الأسف ـ ارجعت الطرف متألم الفكر ، حزين القلب ، اذ كنت أتوقع أن يكون القائل بهذه البهتة الرعناء غير مسلم ، فيمكن أن نلمس

له عذرا فيما يرمى به الاسلام ، لكن ظهر ان اسمه يدل على انه ينتسب باسمه ـ فى شهادة الميلاد ـ الى دين الاسلام الذى يرميه ـ هو وامثاله من اصحاب الثقافة الغربية بالرجعية والتخلف عن سنن التطور .

لقد كنت احسب ان يكون هذا القانونى من اصل انجليزى ، أويهودى او شيوعى ، فيمكن القول : انها شنشنة صادرة من عدو حقود .

وعدت اقول : لعل الفرية التى ترمى الاسلام بالرجعية صادرة من رجل امى الفكر ، لا يميز بين الحق ، والباطل ، أو بين الايمان ، والكفر ، بل لعله لا يفرق بين فلق الصبح الوضاء وظلام الشتاء الدامس . لكن الصدمة كادت تصعقنى عندما علمت ان الفرية صادرة من استاذ كبير ، يدرس القانون فى جامعة كبيرة .. وخرجت صيحة حزينة من أعماق قلبى ـ أسفى عليه : يا لضيعة الشباب، اذا كان الذى يشرف على تثقيفه مثل هذا الاستاذ . لقد دال الاستاذ حين بهت شريعة الله المحكمة المطهرة بالرجعية ـ على أن فريقا منا لا يزال يعيش تحت سيطرة الافكار الغربية الطاغية ، وما زال هذا الفريق يذل للمستعمر ، ويؤمن بما يضمره للاسلام واهله من شر وعداوة وبغى .

يريد منا الاستاذ « داعية الجاهلية الغربية » أن ننبذ شريعتنا المحكمة ونكفر بما تضمنتها من قواعد العدل ، والخير ، والكرامة ، لندين بشريعة الغرب الداعية الى الفساد ، والتحلل والبغى ، والذل .. يريد منا ذلك القانونى أن نلغى شريعة الاسلام التى حررت الانسان من ذل العبودية لغير الله تعالى ، وجعلت الفرد يعرف قدر نفسه ، ويتأكد من وجود شخصيته فى المجتمع .. يريد هذا الداعية الغربى أن يعمل العرب على تدمير عروبتهم ، وتحطيم اسلامهم ، حتى يفقدوا روحه ومقوماته ، وبذلك تذوب الشخصية الاسلامية العربية فى قوانين الغرب ، وشريعته ، وقوانينه وحياته ، ويصبح العرب والمسلمون تابعين للدم الأزرق الخبيث .

يريد منا هذا المبشر بأفكار الغرب الباغية ، أن ندين بما دان به ، وان نعتقد بما اعتقده ، وأن نقيم على شريعة الغرب بناء حياتنا الفكرية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وأن ننشىء على ثقافتهم ، أولادنا والأجيال القادمة من المسلمين والعرب .

اننى اريد ان اقول لاستاذ قانون الغرب ـ لقد جاء لنا الاسلام ، بشريعة سامية تفيض على الانسان بالرخاء والحرية ، ويستشعر فى ظلها بالعدالة ، والمساواة ، ويتعامل على أساسها مع أعضاء مجتمعه فى ود ، وتكافل ، ورحمة ، وتعاون .

ان الشريعة الاسلامية التى يرميها الاستاذ القانونى ، وغيره من احلاس الغرب ، وعبيد شهواته ، هى التى صنعت من الصدر الأول رجالا وابطالا ابتدعوا نظما عسكرية ناجحة حققت لهم النصر على اعدائهم ، بل ونالت شهادة القواد الغربيين انفسهم، حين طبقوا هذه النظم فى حروبهم ، وانتصروا .

والشريعة الاسلامية ، هى التى جعلت من قلوب كانت تذل للاصنام والطواغيت ، وتشركها مع الله فى الحب والتقديس، قلوبا عامرة بالتوحيد الخالص ، والعبودية التامة ، ومن قلوب أشربت روح الغلظة والوحشية فى الجاهلية ، وتعلقت بعاداتها

وتقاليدها الموروثة ، قلوبا لينة رحيمة تؤمن بالحق ، والعدل ، والاخاء الانسانى .

والشريعة الاسلامية ، هى التى جعلت من الصدر الأول حكاما عادلين أظلوا العالم بنظم ادارية عادلة ونشروا فى الدنيا معالم تشريعات ، فاضت على الناس بالسكينة والامن والرخاء فاستحق هؤلاء أن يصفهم القرآن الكريم بقول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وانها لشهادة عظيمة ، من رب عظيم ، ما كان هؤلاء الرجال العادلون لينالوا شرفها لو لم يتمسكوا — عقيدة وقولا وعملا — بشريعة الاسلام التى يبهتها الاستاذ داعية شريعة الغرب بالتخلف ، ومناهضة سنن التطور .

والشريعة الاسلامية ، هى التى جعلت الصدر الأول ، يخرجون من مكة — وهم قلة قليلة وبعد فترة من الزمن ، يفتحوا بلادا ويمتلكوا امصارا ويذلوا جباها جبارة ، ويخضعوا رؤوسا متعالية ثم استطاعوا ان ينشئوا دولة اسلامية ، بلغت فى أيامهم أقصى ما تبلغه دولة طامحةمن السيادة والسعة والازدهار ، اذ امتدت حدودها من الصين شرقا الى الاندلس غربا ، وملأت هذه الرقعة الكبيرة مجدا وعلما وحضارة ، كانت هى الاساس الذى بنى عليها العصر الحديث حضارته وتقدمه .

ولا نحسب ان الاستاذ القانونى يجهل التاريخ الذى سجل للاسلام ، ما شيده من حضارة ومجد وعظمة فى مضمار العلوم والمعرفة ، فانهذه الحقائق ثابتة وواضحة ، يعرفها من نال أقلقسط من التعليم ، ولا ينكرها فى رابعة النهار .

ثم ان الاسلام ، لم يترك جانبا واحدا من جوانب الحياة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية الا وتناولها بالتنظيم والتأسيس ، بصورة عادلة حكيمة لا خلل فيها ولا عوج ، بحيث لم تترك بابا لمرتاب ، أو شاك ينفذ منه ، لينتقد النظم الاسلامية ، ويطالب بنظم اخرى أفضل منها .

ولو أردنا أن نذكر هنا ما جاء به التشريع الاسلامى من مبادىء ، وأحكام ، ووصايا ، لتنظيم هذه الجوانب الحيوية ، لضاق المجال عن ذكره ، اذ لا تستوعبه الا مجلدات ضخمة .

ويطل علينا سؤال من خلال هذه القضية ، لنوجهه الى هذا الاستاذ : ادرست ما فى الكتاب والسنة من شريعة مطهرة ، قراءة انسان مؤمن بها ، مؤمن بربها ، مؤمن بمن ابلغها للناس صلى الله عليه وسلم ؟ أما أن تكون قد قرأتها ، ولكن لم تفقه شيئا مما قرأت ، لانك القيت أمامك ظلا كثيفا من ظلام قوانين الغرب ، والتعصب الأعمى له ، فحجب ذلك ، الرؤية عنك ، فلم تر شيئا من نور الشريعة الاسلامية ... وأما انك لم تقرأ شيئا من الكتاب ، والسنة ، فلم تؤمن بشىء منهما ، فذهبت تحكم بهواك وضلالك على الشريعة الاسلامية ، بانها مناهضة لسنن التطور ، ومخالفة لقوانين التقدم المزعوم ، وبهذا أعلنت الباطل المظلوم على الحق المشرق ، ووضعت القيد فى يد المجنى عليه ، بدلا من وضعه فى يد الجانى اللئيم .

وربما يكون الاستاذ القانونى قد اراد بما رمى به الشريعة ، احكام الاسلام فى قطع يد السارق ، وجلد أو رجم الزانى ، وغير ذلك من الأحكام التى وضعها الحكيم الخبير ، لحماية المجتمع الاسلامى من شهوة الفرد ، ومن بغيه وطغيانه ، فهو ينظر الى الاسلام من خلال هذين الحكمين « قطع يد السارق ، وجلد أو رجم الزانى » لكن ... هل الاسلام هو هذا فحسب ؟ ! أم هو مجموعة احكام وتشريعات جاء بها الكتاب والسنة ـ ومنها هذين الحكمين لاصلاح المجتمع الاسلامى وتقويمه ، وتهذيبه ، وتطهيره ، وتوجيه افراده الى حياة طيبة هانئة آمنة ؟ .

لقد سجل التاريخ ، أن الانسانية لم تسعد فى حياتها ، بمثل ما سعدت به فى حكم الصدر الاول الصالح ، وفى ظل حكوماته الدينية الرشيدة العادلة .

كان الفرد فى تلك المجتمعات الصالحة ، يعمل بوحى من خشية الله وتقواه ، فلم يجد الحاكم سارقا يقطع يده ، ولا زانيا يرجمه أو يجلده ، الا قلة قليلة معدودة من الناس كانت تعد على أصابع اليد الواحدة ، واذا سقطت تلك القلة فى جريمة استيقظ فيها الوجدان الدينى ، فجاءت معترفة(١) بما جنت ، ليقام عليها الحد ، وأملها أن تلقى الله نظيفة الايمان ، فأين هذا ، مما نسمع به اليوم فى الدول الغربية المتطورة ، وفى بلاد عربية مخدوعة جرت وراء شرائع الغرب من جرائم خلقية ، واجتماعية وغير ذلك من الجرائم التى تخزى لها الانسانية ، ويفزع التاريخ من هولها ، والتى تسبب عدم الاستقرار والمتاعب والشقاء للمجتمعات الغربية نفسها فضلا عن المجتمعات الآخذة بشرائع الغرب وقوانينه .. ؟!

واخيرا .. نقول لداعية القوانين الدولية ان المسألة ، ليست مسألة شريعة وقوانين فحسب ، وانما هى قبل ذلك ، مسألة ايمان ، فليختر كل انسان لنفسه منهما ما يشاء ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

---

(١) فليراجع القارىء الكريم قصة معاذ والغامدية ، حين زنيا ، فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم طالبين أن يطهرهما ، فاقام النبى الحد عليهما ، وقبل الله توبتهما .

الأسرة في المنهج الرباني

للشيخ سعد المرصفى

صرخة لكاتبة أمريكيـــة :

تقول الكاتبة الامريكية « هللين ستاتسيرى » إن المجتمع العربى كامل وسليم . ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتماسك بتقاليده التى تفيد الفتاة والشباب فى حدود المعقول . وإن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوروبى والامريكى . فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة . وتحث احترام الاب والام . بل وتحتم أكثر من ذلك : عدم الاباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والاسرة فى أوربا وأمريكا . ولذلك : فان القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة . وأقصد ما تحت سن العشرين هـذه القيود صالحة ونافعة . لهذا أنصح بان تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم . وامنعوا الاختلاط . وقيـدوا حرية الفتاة بل : أرجعوا الى عصر الحجاب . فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجـــون أوربا وأمريكا .

وأضافت : امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه فى أمريكا الكثير لقد أصبـــح المجتمع الأمريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة . وإن ضحايا الاختلاط والحريـــة قبل سن العشرين يملؤون السجون والارصفة . والمبارات . والبيوت السرية . إن الحرية التـــى أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار . قد جعلت منهم (جيمس دين) وعصابات للمخدرات والرقيق . إن الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوربى والامريكى هدد الاسرة . وزلزل القيم والاخلاق . فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص التشاتشا . وتشرب الخمـر والسجائر . بل وتتعاطى ذلك باسم المدنية . والحرية . والاباحية . والعجيب فى أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة . تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها . بـل تتحدى والدها ومدرسها . والمشرفين عليها .. تتحداهم باسم الحرية والاختلاط . وتتحداهم باسـم الاباحية والانطلاق تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات ، ولا يكلفها هذا أكثر من امضاء وبضع نقود . وعريس ليلة أو عدة ليال . وبعدها يتم الطلاق .. وربما الزواج . فالطلاق مرة أخرى ..

إن هذا دليل اتهام لدنيا التبرج والاختلاط . وطوفان الوقاحة وجموح الشهوات . جاء على لسان هذه الكاتبة الامريكية صرخة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وتعبيرا عما تلاقيه المـــرأة الغربية من الآلام الكثيرة . وتحملها للمشاق الجسام . حتى أصبحت حياتها جحيما لا يطاق .

ولم تنفرد هذه الكاتبة بتلك الصرخة المدوية . فقد وردت على لسان الكثيرات ممن عندهن سلامة فى الفكر وفى الادراك .

وواضح أن منشأ عدم الرضا هنا وهناك . هو القلق النفسى الذى تعيشه المرأة نتيجة سلبهـا مقومات الحياة الكريمة كما أراد الله . حتى وجدنا المرأة التى تحملت المشـــاق الجســـام . والآلام العظام . نتيجة طغيان المادة التى أودت بها فى أتون الاختلاط والتفسخ والعرى ننصح المرأة هنـا أن تعود الى الحجاب ومنع الاختلاط .

الاسرة دعامة .. وعماد الانسانية :

بين الحق جل شأنه . شئون الاسرة . وانه خلقها من ذكر وانثى . وامتن سبحانه بذلك فى آيات كثيرة يقول تعالى فى أول سورة الإنسان : **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا »** ليسأل الإنسان نفسه : الا يعرف انه اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ رجاء ان يدرك تلك الحقيقة التى ينتهى منها القلب الى الشعور بالقصد والغاية والتقدير ، فى المنشأ وفى الحياة وفى المصير . كما بين جل شأنه . انه جعل هذا الخلق من ذكر وانثى نواة للاسرة الانسانية كلها . وسبيلا الى أن يدرك الانسان سر ذلك . وأنه ميزانه وميزته . وبه تتفاوت مكانته ومرتبته . فقال سبحانه : **(يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير)** .

ففى هذا بيان أن الله أحسن إلى الناس فخلقهم من ذكر وانثى . وجعلهم شعوبا وقبائل . لينتهى ذلك الى أن يتعارفوا فلايتناكروا . فلا يتقاطعوا .

وإن نظرة سريعة أول الآية تعطينا أن الله سبحانه خلق الناس من ذكر وانثى سبيلا إلى حسن المعاملة قال تعالى : **(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون بل والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** فالخطاب للناس جميعا باعتبار وحدة المبدأ . وأن التكاثر ليس إلا تفرعا عن هذا الاصل الواحد وهذه الرحم الواحدة . ثم إن التأمل فى لفظ (الناس) كفيل بأن يمنح القلب زادا من الأنس . وزادا من المتاع .. كما تعطينا الآية أن الاسرة دعامة الامة . وعماد الانسانية .. وان الزواج به تنشأ وتتكون وفى رحابه تحبو وتتطور . ومن غذائه المادى والروحى تدرج فى المهد حينا براعم سلالة جديدة لتؤدى رسالتها ولتأخذ نوبتها ..

وبهذا كان للإنسان حقوق الاسرة . وعليه واجباتها . على اختلاف الالوان واللغات . وتباين الشعوب والقبائل فلا تظالم ولا تقاتل . ولا تشاحن ولا عدوان . ولا استغلال ولا طغيان . ولكن : أصل واحد . ورحم واحدة ومعروف وسلام . وأمن وأمان . وبر ومرحمة .

المخدرات في الطب والدين

(كل شيء أسكر فهو حرام)

حديث شريف

للدكتور : احمد شوقى الفنجرى

مشكلة المخدرات هى احدى القضايا الهامة والخطيرة فى عالمنا العربى والاسلامى بحيث يجب أن يعلم المسلم كل شيء عن أخطارها ومساوئها وعواقبها كما يجب على كل داعية الى الاسلام ان يدرس كل شيء عنها ..

فيعرف أنواعها ومصادرها وتاريخها .. وتأثيرها على عقل الانسان وجسمه .. ويعرف أهم من ذلك طرق علاجها والوقاية منها .. فبغير هذه المعلومات الحيوية لن يكون للداعية الاسلامى تأثيره المقنع وحجته القوية حين يكتفى إن المخدرات حرام ..

ولن تكفى النصيحة والوعظ وحدهما لانقاذ المدمن الذى يطلب المعونة والتوبة من هذه الآفة طالما لم يصاحب ذلك فهم جيد بأسلوب العلاج ووسائل الوقاية ..

ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن هذه المخدرات لم تكن معروفة على عهد الرسول وانها لم تصل الى المسلمين الا فى وقت لاحق .. ولذلك لم ينزل فيها تحريم قاطع يتناولها بالاسم كما هو الحال فى الخمر مما جعل بعض أعداء الاسلام ودعاة الفساد يذهبون الى إباحتها أو التشكيك فى تحريمها .. بل ان بعض الجهلة من العوام يستحرم شرب الخمر ويقبل على تعاطى المخدر فيهرب بذلك من شر الى أشر منه ومن حرام الى ما هو

احرم منه ..

وتكفى نظرة على تاريخ المخدرات ودخولها لأول مرة الى العالم الاسلامى لكى تدلك على أن من جاءوا بها الى بلادنا وديارنا كانوا يقصدون فعلا الى محاربة الاسلام وتحطيم الأمة المسلمة .

المخدرات فى تاريخ العرب والمسلمين :

لم يعرف العرب المخدرات فى الجاهلية .. ولم تدخل زراعتها الجزيرة العربية .. وكانت أول مرة تدخل فيها المخدرات الى العالم العربى على أيدى ملاحدة الفرس . فقد جاء فى كتاب (الخطط) للمؤرخ العربى « المقريزى » :

(وجاء الى القاهرة اشخاص من ملاحدة العجم صنعوا الحشيشة وخلطوها بالعسل وبعدة أجزاء مجففة كعرق اللقاح وسموها العقدة وباعوها خفية فشاع أكلها بين كثير من العوام . ثم زاد التجاهر بها فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام عن الكلام بها حتى كادت تكون من تحف المترفين . ولهذا غلبت السفالة على الأخلاق وارتفع ستر الحياة والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة واتصفوا بكل ذميمة من الأخلاق ورذيلة) .

ويروى الطبيب العربى ابن البيطار فى كتابه (المفردات) :

(ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندى وهو يزرع بمصر ويقال له الحشيشة وهو يسكر جدا اذا تناول الانسان منه قدر درهم أو درهمين اخرجه الى حد الرعونة . وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلهم) .

ثم يقول : (ولم تكن الحشيشة معروفة فى الشام الى أن قدمها سلطان بغداد فارا من تيمورلنك فتظاهر أصحابه بأكلها فتعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها) .

وهكذا نجد أن أول من نشر المخدرات بين المسلمين هم الملاحدة العجم ثم سلطان فاشل مخلوع عاشر التتار .

وفى سنة ١٠٢٤م ظهرت طائفة الاسماعيلية التى كونها « حسن الصباح » وهو فارسى ملحد .. وكانوا يسمون (طائفة الحشاشين) لأنهم كانوا يؤمنون بأن اغتيال خصومهم واجب دينى . وكانوا يعطون أتباعهم الحشيش فى حفل دينى أشبه بطقوس المجوس ثم يطلقونهم فى حالة من فقدان الوعى والارادة لكى ينفذوا أوامر زعمائهم بالقتل والاغتيال .. وقد قتلوا الكثير من أئمة المسلمين وحاولوا قتل صلاح الدين أكثر من مرة ..

وبعد هؤلاء يأتى دور الاستعمار البريطانى فى نشر تجارة المخدرات فى العالم فعندما احتلت بريطانيا الهند ابتدأت (شركة الهند التجارية الشرقية) وهى أول شركة استعمرت الهند .. ابتدأت تزرع الشاى والأفيون فى مزارعها وتصدرها الى انحاء العالم وخصوصا الصين .. وعندما انتشر الأفيون فى الصين بفضل المهربين البريطانيين والبرتغاليين ونكب شعب تلك البلاد منه صحيا

وماليا وتسربت أمواله الى بنوك بريطانيا .. عند ذلك أصدر الامبراطور (لن تسى) ١٨٣٨ مرسوما بتحريم تجارة الأفيون أو دخوله الى البلاد فقامت بذلك حرب الأفيون بين بريطانيا والصين والتى استمرت عامين وانتهت بهزيمة الصين واضطرارها الى عقد معاهدة مع بريطانيا تسمح لتجار الأفيون الانجليز ببيعه فى بلادها ولا تتعرض لهم .

وكانت المخدرات قد اختفت من مصر والعالم العربى بعد أن حاربها صلاح الدين وغيره من السلاطين .. فقد جاء فى كتاب المقريزى :

(ثم جاء الأمير سودون الشيخوخى — رحمه الله — فتتبع الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة بباب اللوق وعسكر ببولاق فأتلف ما هناك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذائلهم وعاقب على فعلها بقلع الأضراس فقلع أضراس كثير من العامة) .

وهكذا تخلصت مصر قلب العالم الاسلامى النابض من شرور هذه المخدرات قرون طويلة الى أن جاء الاستعمار البريطانى ..

وكان من سياسة الاستعمار البريطانى المرسومة اضعاف الشعوب العربية والاسلاميةوافقارها عن طريق نشر المخدرات ، فكانت بريطانيا تزرع الحشيش والأفيون فى فلسطين ، والهند ، وتصدره الى العالم العربى ومصر . ولم تستطع أى حكومة محلية عربية أن تمنع دخول المخدرات الى بلادها بطريقة حاسمة بسبب تدخل المندوب السامى البريطانى .. وعندما كونت مصر فرقة خاصة من حرس الحدود (الهجانة) لمكافحة المخدرات اصرت بريطانيا أن يكون رئيسها ضابط بريطانى فكان فى الواقع ينظم ويسهل وصول المخدرات الى طالبيها وتجارها تحت اسم مكافحة المخدرات ..

ثم جاءت حكومة الثورة فى مصر سنة ١٩٥٢ م فأصدرت أول قانون حاسم يقضى بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على من يتجر بالمخدرات .

وكان المأمول أن يقضى هذا القانون على تلك التجارة المخربة .. ولكن كانت اسرائيل قد حلت مكان بريطانيا فى فلسطين وأخذت تتفنن وتتوسع فى زرع المخدرات وتصديرها الى البلاد العربية بشتى طرق التحايل سواء بالبر أم بالبحر أم بالجو .. وكان لها من ذلك ثلاثة أهداف :

١ — تحطيم الأمة العربية صحيا ومعنويا باغراق أسواقها بمخدرات رخيصة .

٢ — تحطيم الاقتصاد العربى اذ ذكرت بعض الاحصاءات الدولية أن دخل اسرائيل من تهريب المخدرات الى البلاد العربية يبلغ سنويا ٤٦ مليونا من الجنيهات .

٣ — تمويل عمليات التجسس داخل العالم العربى من دخل المخدرات فكانت تدفع لجواسيسها بدلا من المال شحنات من المخدرات ..

من كل هذا التاريخ الأسود للمخدارت نرى مدى خطرها على الاسلام والمسلمين واهمية مكافحتها عن طريق الدين والتوعية فى المساجد واقناع الناس بمدى ما فيها من إثم وحرمة .

المخدرات من الناحية العلمية :

اصطلحت الهيئات العلمية على اعتبار المخدر هو اى مادة تحتوى على عناصر تحدث تأثيرا فى عقل الانسان وعواطفه سواء كان هذا التأثير منبها أو مسكنا .

ـ فمن المخدرات المنبهة : الكوكايين والبنزورين .

ـ ومن المخدرات المسكنة :

أ : مشتقات الأفيون كالمورفين والهيروبين والكواديين .

ب : مخدرات غير أفيونية : مثل الحشيش والكحول .

وهناك تقسيم آخر للمخدرات الى:

أ ـ مخدرات طبيعية : وهى عبارة عن نباتات وأعشاب مثل : القات ـ والأفيون ـ والحشيش .

ب ـ مخدرات كيماوية : وهى عبارة عن مستخلصات تحضر بطريقة كيماوية ومنها : الكحول ـ الكوكايين والمورفين والهيروبين الميرهبوانا .

وهكذا نجد أن التقسيم العلمى يجعل الخمر كواحد من المخدرات وتنطبق عليه جميع قوانين المواد المخدرة .. ولهذه الحقيقة العلمية أهمية كبيرة وحيوية عندما نتحدث عن رأى الدين فى المخدرات .

مواطن زراعة واستهلاك المخدرات فى العالم العربى والاسلامى :

يزرع الأفيون بكثرة فى ايران وتركيا .

ويزرع الحشيش فى فلسطين المحتلة ولبنان .

ويزرع القات فى اليمن .

واكثر مستهلك للمخدرات فى العالم العربى هو اليمن ويليه مصر وشمال افريقيا والسودان ثم العراق ثم سوريا ولبنان .. وقد جاء فى تقرير لهيئة الصحة العالمية أن ٩٠٪ من سكان احدى البلاد العربية يتعاطون المخدر رجالا ونساء وفى بلاد أخرى تبلغ النسبة ٢٥٪ بين الرجال وهذه الاحصائيات تبين لنا جسامة المشكلة واهمية دراستها وعلاجها ..

اسباب انتشار المخدر فى العالم العربى :

١ ـ الجنس : إذ يعتقد العوام انها مغيبة ومقوية للجنس .

٢ ـ عادة ختان البنات : اذ انها تؤدى الى البرود الجنسى عند المرأة .

٣ ـ المشاكل العائلية والفقر والحزن .

٤ ـ الكبت الجنسى وعدم وجود الحياة الاجتماعية والتأخر فى الزواج .

٥ ـ عدم وجود المسليات البريئة كالنوادى الرياضية والاجتماعية .

٦ ـ ضعف الوازع الدينى والتربوى

٧ ـ تهاون الحكومات المحلية فى التوعية والعلاج والاكتفاء بالاجراءات البوليسية .

٨ ـ الاستعمار البريطانى ثم اسرائيل .

التأثير الأخلاقى والصحى للمخدرات :

المخدرات تؤدى إلى تحطيم شخصية المدمن وهو ما يسميه علماء

النفس بتفكك الشخصية . ومن مظاهر هذا التفكك الفشل فى العمل والحياة فتجد المدمن ينتقل من عمل الى آخر ومن وظيفة الى أخرى الى أن يخسر كل فرص العمل والرزق ويستسلم للبطالة ..

والمدمن متقلب العواطف .. يكره بسرعة ويحب بسرعة .. عديم التحكم فى غرائزه وعواطفه .. لا يحترم مشاعر غيره من الناس . سيىء المعاملة لأهله ووالديه وقد يضرب أمه وأقرب الناس اليه .

وأكثر المدمنين مصاب بمركب النقص أو مركب العظمة ..

وكثير منهم يميل الى الشذوذ الجنسى . فمنهم الماسوشى ، أى الذى يتلذذ بأن يضرب ويعذب ويهان .. وهذا النوع ينقلب عند الكبر الى السادية ، أى يتلذذ بتعذيب غيره واهانته .

وهذا النوع الأخير اذا أصبح رئيسا فى عمل أو مسئولا عن غيره من الناس يجد السعادة فى تنغيص حياتهم وجرح مشاعرهم وانزال أقصى العقاب عليهم ..

وقد يقول قائل ان هذه الصفات التى يطلق عليها تفكك الشخصية قد توجد بدرجات متفاوتة فى أناس عاديين لا يتعاطون المخدرات .. ولكن القاعدة العلمية أن كل شخص من هذا النوع يكون لديه استعداد طبيعى للادمان .. وأنه أسهل من صاحب الشخصية السليمة وقوعا فى أسر المخدرات فاذا أدمن برزت هذه الصفات جميعها بصورة ملحوظة وخطيرة .

وأخيرا .. فان مدمن المخدرات اذا اشتد به الادمان بدأ ينحرف فيكذب ويغش ثم يسرق ويقتل فى سبيل الوصول الى بغيته . والى جانب هذا من الملاحظ أن لكل نوع من المخدر تأثير مستقل على الأخلاق فتعاطى القات يؤدى الى فقدان الارادة والتفكيك بحيث يمكن الايحاء الى المدمن بعمل أى شىء ولو كان ضد رغبته فاذا رأى أحدا يبكى بكى معه واذا رأى أحدا يضرب نفسه ضرب نفسه مثله .

— ومن أهم آثار الحشيش أنه يؤدى الى الجبن والى توهم أعداء لا وجود لهم .

— ومن أهم آثار الكوكايين اضطراب العقل وشعور المريض بالحشرات تزحف تحت جلده فتراه يخلع ملابسه فى الطريق العام لكى يبحث عن الحشرات فيها !!!

الأثر الطبى للمخدرات :

يختلف الأثر الأول للمخدر من نوع الى آخر . فالمخدرات المنبهة كالأفيون تحدث نشاطا فى الجسم وشعورا بزوال التعب . أما المخدرات المسكنة كالحشيش والخمر فانها تزيل الآلام والتعب عن طريق التسكين ليحل مكانه الانبساط والمرح وانطلاق اللسان ..

ولكن ما أن يتعود الجهاز العصبى للانسان على هذه الجرعة الصغيرة فانها لا تعود تحدث فيه هذا التأثير الأولى . فيضطر الشخص الى تناول جرعة أكبر كل مرة حتى يحصل على الأثر السابق .. فينتهى به الأمر الى الادمان مع جميع مضاعفاته .. وتؤثر المخدرات على الجهاز الهضمى فتفقد

الشهية للأكل فينحل الجسم وتقل مقاومته للأمراض وتظهر البقع والقروح على الجلد . وتحدث المخدرات ارتخاء عضلات الوجه والجفون فيبدو الانسان كالنائم أو التائه وتحمر العيون ويصبح التنفس صعبا وبطيئا ويقل الأوكسجين الواصل الى الدم وأخيرا ينتهي المطاف بالمدمنين الى الجنون أو الموت المبكر أو السجن المؤبد بسبب جريمة يرتكبها وهو فى غير وعيه ..

المخدرات والجنس :

من أهم دوافع الناس على تعاطى المخدرات الاعتقاد السائد أنها تقوى الجنس ، وكما ذكرنا فى حديثنا عن الخمر أن هذه المخدرات قد تفعل ذلك فى أول أمرها فقط . والتعليل العلمى لذلك يرجع الى أنها تخدر العقل الواعى فتزيل الخوف . ولكن مع تكرار استعمالها تبدأ تؤثر على الجهاز العصبى فتسبب الفتور والضعف الجنسى المزمن وأكثر المدمنين تنهار حياتهم الزوجية والعائلية لأنهم عندما يدخلون فى مرحلة الارتخاء والهبوط الجنسى يبدأون بالتنغيص على زوجاتهم والتشكيك فى سلوكهن لكى يغطوا على عجزهم ..

وأخيرا فانهم ينحرفون جنسيا .. وأكثر هؤلاء المدمنين يتلذذ بتعذيب نفسه وبتعذيب زوجته واضطهادها وكثير جدا من حالات الطلاق فى المحاكم يرجع الى المخدرات سواء كانت الخمر أم الحشيش .

وقد قامت بعض الهيئات العلمية والطبية بأبحاث حول أسباب انتشار الحشيش فى بعض البلاد العربية فوجدت أن لهذا علاقة بعادة ختان البنات لأن هذه العادة تصيب البنت بالبرود الجنسى مما يضطر الزوج الى اللجوء الى المخدرات املا فى أن يساعده ذلك على الاطالة الجنسية .

الوقاية من المخدرات :

١ — خير علاج للمخدرات هو الوقاية أولا . فكما أسلفنا أن أخطر مرحلة فى المخدرات هو الخطوة الأولى التى يحاول الانسان فيها تجربة شىء جديد من باب التغيير أو الملل .. وغالبا يتصور أنه سيجرب مرة واحدة ثم يمتنع ولكنه بعد قليل يعود الى التجربة مرة ثانية وثالثة الى أن يصبح مدمنا .. وهنا تبرز أهمية التثقيف الصحى والتوعية الدينية مجتمعين.. ويأتى دور رجل الدين فى التوعية أعظم من دور الطبيب والمشرف الاجتماعى وكافة أجهزة الاعلام ، لأن الناس فى العالم الاسلامى يتأثرون بأوامر الدين ونواهيه أكثر من تأثرهم بغيره .. ولهذا نقول ان من واجب رجل الدين أن يعلم ويدرس كل شىء عن هذه المخدرات وأضرارها وأن يكون ملما بطرق الوقاية وطرق علاج المدمن حتى يقدم المساعدة الفعالة الى من يلجأ اليه طالبا العون والنصيحة ..

٢ — ويجب الاكثار من مصحات

علاج المدمنين وعدم تركهم ينشـــرون هذه الرذيلة فى الخفاء كما يجب عدم اللجوء الى الطرق البوليسية الا بعد استنفاد كل وسائل الاقناع والعـــلاج الطبى والنفسى والتربوى والاجتماعى فهذه الوسائل البوليسية وحدهـــا لا تزيد عن أن تنقل الادمان من العلن الى السر .

٣ ــ ويجب ابطـــال عادة ختـــان البنات الا فى حدود ما علمنا الاسلام كما أسلفنا وهى سنة من سنن الفطرة ويبقى الآن دور التوعية الدينية لافهام الناس ما فيها من خطأ .

٤ ــ نشـــر وســـائل الترفيـــه وخصوصـــا فى الأرياف بتشـــجيع النـــوادى الرياضـــية والاجتماعيـــة وحفلات السمر البرىء .. ونشـــر الهوايات بين الشباب .

عـــلاج المدمن :

ان المدمن لا يستطيع التوقف عن المخدر من نفسه ودون علاج حاسم وصبر طويل لأنه اذا حرم من المخدر فجأة شعر بآلام نفسية وجسدية لا طاقة له بها .. وتبدأ هذه الأعراض بعد الحرمان باثنتى عشرة ساعـــة فقط .. وقد ينقلب بسبب هذه الآلام الى وحش كاسر أو قاتل أو ســـارق وبعضهم يضطر الى بيع دمه ليحصل بثمنه على المخدر . والعلاج الوحيـــد أن يدخل مصحا خاصـــا حيث يعطى جرعات من نفس المخدر تقل بالتدريج حتى يزول الادمان ويعطى فى نفس الوقت مواد مضادة لهذا المخدر الى جانب العناية بصحته العـــامة .. ويجب أن يلحق بكل من هذه المصحات رجل دين يكون دارسا لعلم النفس وعلم الاجتماع أيضا كما هو حادث فى المصحات الاوروبية .. فقد وجد أن من أهم الوسائل لانجاح العلاج رفع معنويات المريض وتقوية عزيمته على الاقلاع عن الادمان ..

رأى الدين فى المخدرات :

ذكرنا أن من أهم أسباب انتشار المخدرات فى العالم العربى اعتقـــاد العوام أن القرآن لم يحرمها كما حرم الخمر .. وهذا خطأ جسيم قد دفع المسلمون ثمنه غاليا .. فعندما نزل فى القرآن أمره القاطع بتحريم الخمر .. جاء الناس من انحاء الجـــزيرة العربيـــة يسألون رســـول الله عن المقصود بالخمر فمنهم من يسأل عن شىء يصنعونه من (الشعير) وكان رسول الله يسألهم (أمسكر هو ؟) . فيقولون : نعم . فيقول الرســـول : (كل شىء أسكر فهو حرام) . رواه البخارى .

وكان يعرف الخمر بقوله : (الخمر ما خامر العقل) رواه الشيخان .. أى أن كل شىء يؤثر على العقل يدخل فى حكم الخمر .. وتنطبق عليه كل أحكامها وعقوباتها ونواهيها ..

وقد ســـبق أن بينا فى التعـــريف العلمى للمخدرات أنها تشمل الخمور أى أن كل خمر مخدر وأن المخدرات تشمل الخمور وغيرها .

وهكذا نجد أن حكم الشرع ينطبق مع حكم العلم فى أن كل مخدر يدخل فى حكم الخمر وكل خمر تدخل فى حكم المخدر . ويلخص رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم هذه القاعـــدة بقوله : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) . رواه أحمد .

وفى هذا يقول الامام ابن تيمية عن المخدرات :

(وحدوثها بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة لا يمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسكر فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة) .

ويقول ابن تيمية أيضا فى كتابه : (السياسة الشرعية) :

(ان الحشيشة حرام . يحد متناولها كما يحد شارب الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا ومعنى .

وفى مذهب الحنفية ، أن من قال بحل الحشيشة زنديق مبتدع) .

ويقول الامام الحافظ بن حجر :

(أن من قال : ان الحشيشة لا تسكر ـ وانما هى مخدر ـ مكابر فانها تحدث ما تحدثه الخمر) .

ويقول الامام ابن القيم :

(ان الخمر يدخل فيها كل مسكر : مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا . فتدخل فيها لقمة الفسق والفجور ـ أى الحشيشة ـ لأن هذا كله خمر بنص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر) . رواه مسلم وغيره .

وقد استفتى الامام ابن تيمية فى المخدرات فقال :

(هذه الحشيشة هى وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة لعقوبة الله . ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر فهى بالتحريم أولى وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام. ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فانه يستتاب فان تاب والا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وان القليل منها حرام أيضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمر) .

وما ينطبق على تحريم أكل الحشيشة والمخدرات ينطبق أيضا على تحريم الاتجار بها ونقلها وزرعها وتجارتها لقول الرسول : (ان الله حرم الخمر وثمنها) ... الحديث رواه أبو داوود .. وقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشترى له) . رواه ابن ماجه والترمذى .

أما عن القول بأن المخدرات أكثر تحريما من الخمور فذلك لأن الخمر تذهب العقل فقط ، أما المخدرات فانها تذهب العقل وتذهب المال وتذهب النفس ففيها ثلاثة آثام مجتمعة :

ـ أنها تذهب العقل لأنها لا تؤدى فقط الى السكر ولكن أيضا الى الجنون فهى حرام .
ـ وانها تذهب المال لأنها تؤدى الى البطالة أولا ولأنها أكثر كلفة من الخمر فهى لهذا حرام .
ـ وانها تذهب النفس لأنها تؤدى بالمدمن الى الوفاة مبكرا فى شبابه فهى لهذا أيضا حرام .

فهذه ثلاثة أسباب تجعل المخدرات أشد تحريما من الخمر .

والله الموفق .

للأستاذ : عبد الحميد رياض

حول الألفاظ الاعجمية فى القرآن الكريم

الله سبحانه وتعالى يقول عن القرآن الكريم (إنا انزلناه قرآنا عربيا) فلماذا جاءت فيه الفاظ غير عربية ؟ وما تعليل ذلك ؟
وهل يقلل هذا من بلاغته ، وما هى هذه الألفاظ ؟

عبد الخالق عبد المقصود ـ مؤسسة مهنا ـ الكويت

لا شك أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو محفوظ تكفل الله بحفظه فقال تعالى : « **إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » وهو سبحانه الذى اختاره ليكون على هذا النسق وبهذه القوة المعجزة للبشر تحداهم أن يأتوا بمثله أو بشىء منه ، وقد كانوا فى أعلى درجات الفصاحة فلم يستطيعوا له محاكاة فى أى جزء منه ولا حتى جزء من آية .

وقد قالوا عنه تبريرا لعجزهم عن محاكاته إنه أساطير الأولين ، ولكن الدليل تلو الدليل يؤكد أنه كلام الله البين الواضح وسيظل دستور الانسانية اذا أرادت لنفسها الهداية والرشاد مهما تقادم الزمن أو أرجف المرجفون فى حقه .

والحديث عن وجود ألفاظ غير عربية فى القرآن الكريم ليس جديدا ، فقد تعرض له الأئمة العلماء فقال بعضهم بوقوع بعض الألفاظ غير العربية فيه ، وآخرون قالوا بعدم وقوع ذلك ، ومنهم الإمام الشافعى ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضى أبو بكر ، وغيرهم . واستدلوا بقول الله تعالى : (قرآنا عربيا) وقوله تعالى : « **ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته اأعجمى وعربى** » .

وقال أبو عبيدة : (إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا من النبطية فقد أكبر القول) .

وقال ابن جرير : (ما ورد عن ابن عباس وغيره رضى الله عنهم من تفسير الفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو غير ذلك ، إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد) .

وقيل كان العرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة فى أسفارهم فعلقت من لغاتهم الفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، ونزل ببعضها القرآن .

وقال أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك : (إنما وجدت هذه الألفاظ فى لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ويجوز أن يكونوا سبقوا الى هذه الألفاظ) .

والذين رأوا غير العربى فى القرآن الكريم قالوا : (ان الكلمات اليسيرة التى وردت بغير العربية فيه لا تخرجه عن كونه عربيا) .

وذلك ان هذه الأحرف أصولها أعجمية وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن الكريم وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب .

ومن البين الواضح بعد هذا أن الكلمات التى جاءت فى القرآن الكريم دلت على مسمياتها ولا يوجد ما يقوم مقامها ، وذلك ولا شك أعلى مراتب الفصاحة ، وليس معنى هذا أن هناك قصورا فى اللغة العربية ، ولكن لأن المسميات لا يصلح لها للدلالة عليها إلا هذه الأحرف المستعملة فعلا والتى يجب على كل فصيح أن يتكلم بها ، ولو أريد ترك هذه الكلمة الى غيرها لما تم المعنى المراد من اللفظ ، ولنأخذ لذلك مثلا كلمة (استبرق) فانها تطلق على الثياب المتخذة من الحرير . يقول الامام السيوطى صاحب الاتقان : (ان أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه اما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ، ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع فى اللغة العربية للديباج الثخين اسم ، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، ونزرة تلفظهم به ، وإن ذكره بلفظين فأكثر فانه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأن ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظ واحد تطويل ، فعلم بهذا أن لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم به فى موضعه) .

هذا وقد تبين أن القرآن الكريم بعد هذا العرض للآراء جاء بلسان عربى مبين ، وأن الكلمات التى وردت فيه وقيل إنها غير عربية انما استعملت لوجودها عند العرب قبل نزول القرآن الكريم ، وهذه الكلمات تزيد على المائة كلمة بقليل ، وإليك بعضا منها :

استبرق ، أباريق ، ابلعى ، الأرائك ، آزر ، اسفار ، إصرى ، أكواب ، الجبت ، حصب ، حطة ، الرقيم ، سرادق ، سندس ، سفرة ، الطاغوت ، قسورة ، مرقوم ، مشكاة ، اليهود ، زنجبيلا ، سجيل ...

ردود سريعة :

ملحق للمجلة عن الصلاة والطهارة

وصلتنا رسائل متعددة من السادة القراء حول إصدار رسائل عن بقية أركان الاسلام يقولون فيها : إن الصلاة ركن يتكرر فى اليوم خمس مرات وان الله لم يأمر بالصلاة فى آية من الآيات الا وقرنها بالزكاة فكان أولى أن تكون مع الزكاة فى رسالة واحدة كما صدرت رسالة الصيام والزكاة .

نقول لهم جميعا ان هذا الموضوع محل دراسة الوزارة منذ فترة والنية متجهة الآن لاخراج رسالة للصلاة والطهارة وأخرى للعقيدة تقدم للناس فى وضوح ويسر .

الى كل متشدق ، ومطلق لنفسه العنان ليتجنى على الاسلام ويدعي انه دين لا يحض على علم ، ولا يشجع على تقدم ، والى كل من ينادى بان الازهر لا يصح أن يخرج الطبيب والمهندس ، فلتكن علومه دينية بحتة ، ولا داعى لأن يقحم نفسه فيما لا يعنيه ، الى كل هؤلاء والى غيرهم اقدم لهم الشيخ الامام الفاضل : موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن أبى سعد ، والذى يعرف بابن اللباد ، والذى اعتنى بصناعة الطب كما كان متميزا فى النحو ، واللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام ، عالما فى الفقه ، مقرئا للحديث .

مولده ونشاته :

ولد البغدادى فى دار لجده فى درب الفالوذج فى بغداد سنة ٥٥٧ هجرية ، وهو من أصل موصلى ، وكان ابوه يوسف بارعا فى علوم القرآن والقراءات ، مجيدا فى المذهب ، ومتضلعا فى كثير من العلوم ، فدفعه هذا الأب الفاضل الى جماعة من علماء عصره ، حفظ عنهم الحديث فى صباه ، أمثال ابى الفتح محمد بن عبد الباقى ، المعروف بابن البطى ، وابى زرعة بن محمد القدسى ، وابى القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم .

فى هذا البيت من بيوت العلم والمعرفة نشأ البغدادى . وكان يقضى معظم وقته فى سماع الحديث ، وتعلم الخط ، وحفظ القرآن ، والمقامات ، وديوان المتنبى ، ولما وجد ابوه ان ابنه تواقا الى العلم والمعرفة ، وقد خطا خطوات راسخة فى هذا السبيل ، حمله الى الوجيه الواسطى ، تلميذ كمال الدين عبد الرحمن الانبارى ، وكان شيخا اعمى من اهل الثروة والمروءة ، ويمدحه البغدادى ويصفه بانه بذل كل جهده فى تعليمه ، فكان يقرئه درسه ، ويخصه بشرحه ، ويذاكر له فى

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي

للدكتور محمد محمد ابو شوك

الطريق بعد خروجه من المسجد ، ثم اذا دخل بيته اخرج الكتب التى يشتغل بها فاحفظها له ، وكان البغدادى يذهب مع شيخه الواسطى الى الشيخ الأنبارى فيسمع لما يقول ، وبهذه الروح الوثابة ، والتفانى فى سبيل العلم والمعرفة ، قرأ البغدادى كثيرا من العلوم ، ثم حفظ أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكذلك حفظ (مشكل القرآن) و (غريب القران) فى مدة قصيرة ، وحفظ الايضاح لابن على الفارسى وواظب على المقتضب للمبرد . ويقول عن نفسه : ان كل هذا لم يلهه عن سماع الحديث والتفقه على شيخه ابن فضلان ؛ ثم انه اتى على اكثر تصانيف الشيخ كمال الدين الأنبارى ، وكان معظمها فى النحو والفقه والأصول ، والتصوف والزهد ، وحفظ عليه كتابه من كتاب سيبويه ، ثم رآه يتجه الى كتب العلوم .. فنهل منها الكثير ، فقرأ كتب جابر بن حيان ، وكتب ابن سينا ونهمنيار تلميذ ابن سينا ، وابن وحشيه وانكب على كتب الغزالى « المقاصد ، والمعيار والميزان ، ومحك النظر » .

وبحلول عام ٥٨٥ ، اى وهو فى الثامن والعشرين ، وجد نفسه وقد تشبع بأفكار وكتابات من حوله من العلماء ، واصبح يقارعهم الحجة بالحجة ، وكون لنفسه الشخصية التى اصبحت تحكم على علم فى هذا وذاك ، فلم يعجبه ابن سينا فى صناعة الكيمياء ، وعبد الله بن نائلى فى العلوم التى تناولها ، فى هذا السن يقول : انه وجد نفسه فى بغداد وليس فيها من يأخذ بقلبه ويملأ عينيه ويحل ما يشكل عليه ، فهجرها بحثا عن الاستزادة من العلم ، ورحل الى الموصل ، وراق فى عينه الكمال بن يونس ، وكان فذا فى الرياضيات والفقه .

عرضت عليه فى الموصل مناصب عدة اختار منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التى تحتها ، ويقول عن نفسه فى هذه السنة التى قضاها فى الموصل : « واقمت بالموصل سنة فى اشتغال

دائم متواصل ليلا ونهارا ، وزعم أهل الموصل انهم لم يروا من أحد قبلى ماراوا منى من سعة المحفوظ ، ويسترسل فى ذلك معتدا بنفسه وانه بعلمه قد فاق الشهاب السهروردى بل وهاجمه بقوله : وان له تعاليق كثيرة لا يرتضيها » . وارتحل عن الموصل قاصدا دمشق ، ووجد فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم احسان صلاح الدين الأيوبى ، وفى دمشق صنف البغدادى تصانيف كثيرة فى الحديث ، واللغة ، واصول الدين . وفيها وجد شيخه القديم عبد الله بن نائلى نازلا بالمئذنة الغربية بالجامع الأموى ، وكان يتكلم دائما فى الكيمياء والفلسفة فلم يرق مرة أخرى فى عين البغدادى ، وقال له يوما : « لو صرفت زمانك الذى ضيعته فى طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك ، مخدوما طول عمرك » .

ويترك البغدادى دمشق ويستهويه الترحال ، ويلقى عصا التسيار هذه المرة فى القدس ، ثم الى عسكر صلاح الدين بظاهر عكا حيث قابل ابن شداد ، والذى سمع الكثير عن البغدادى أثناء اقامته بالموصل ، فذهب معه الى عماد الدين الكاتب ، وتوجه الثلاثة الى القاضى الفاضل ، وسأله فى مسائل كثيرة نحوية فأعجب به ، وطلب منه أن يرجع الى دمشق ، وتجرى عليه الجرايات ، ولكنه أصر على الذهاب الى مصر ، فكتب القاضى الفاضل كتابا الى وكيله بمصر الشاعر المشهور ابن سناء الملك المتوفى ٦٠٩ هـ فقابله هذا بحفاوة بالغة ، وانزله دارا تليق بمقامه ، وعرفه الى أرباب الدولة فى مصر ، فدرت عليه الهدايا والصلات ، من كل جانب ، وفى مصر قابل الثلاثة الذين كان قصدهم — أولهم يس اليسيميائى فوجده كما يقول كذابا

ويقول عنه انه يعمل أعمالا عجيبة ، وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأى مقدار شاء وانه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه تحتها .

وأما الثانى الذى لقيه البغدادى فكان موسى بن ميمون — وقد قال عنه البغدادى إنه كان فاضلا الا انه قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة ارباب الدنيا ، وعمل كتابا فى الطب نقله عن جالينوس وعمل كتابا لليهود سماه (الدلالة) ، ولعن من يكتبه بغير القلم العبرانى وقد وصفه البغدادى بأنه كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن انه يصلحها .

وكان الشخص الثالث الذى قابله هو أبو القاسم الشاعر ، ويقول عنه البغدادى : ان سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكان أبو القاسم يكتب للقدماء وعلى رأسهم أبو نصر الفارابى الذى كان لا يعتقد فيه البغدادى لأنه كان يظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه ، ونجح أبو القاسم فى اجتذاب البغدادى حتى أقبل على كتبه .

ولما هادن صلاح الدين الفرنجه رحل البغدادى الى القدس ولقى صلاح الدين لأول مرة ، ونقف هنا

وقفة جميلة يصف فيها البغـــدادى صلاح الدين لنعرف كيف كان صلاح الدين واصـــحابه فى حربهـم مع الصليبيين ، وكيف انتصروا عليهم فى نهاية الامر ، يقول البغدادى :

رأيت ملكا عظيما يملأ العـــين روعة ، والقلوب محبة ، قريبا بعيدا سهلا مجيبا ، واصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى **« ونزعنا ما فى صدورهم من غل »** (الحجر ٤٧) . واول ليل حضرته وجدت مجلسا ، حفل بأهل العـلم يتذاكرون أصناف العلوم، وهو يحسن الاستماع والمشاركة ، ويأتـى بكـل معنى بديع ، وكان مهتما ببناء ســور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلـك بنفسه ، وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع النـــاس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضـعفاء حتى العماد الكاتب والقـاضى الفاضل ، ويركب كذلك قبل طلوع الشـمس الى وقت الظهر ، ويأتى داره ويمد الطعام ثم يستريح ؛ ويركب العصر ويرجع فى المشاغل ، ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمل نهارا ..

ثم ان صلاح الدين كتب للبغدادى بثلاثين دينارا كل شـهر على ديوان الجامع بدمشق ــ كذلك أطلق أولاده رواتبه له حتى تقرر له مائة دينـار كل شهر . ورجع موفق الدين الى دمشق وأخذ يشتغل بالعلم ، ويقرىء الناس بالجامع الاموى ، وزهد فى كتب الكيمياء . ثم انه بعد أن استولى الملك العادل على دمشـق ٥٩٢ هـ توجه الى القدس ومنها الى القاهرة ومرة اخرى أخذ يقرىء النـــاس بالجامع الازهر من أول النهار الى الساعة الرابعة . ووسط النهـار يقرأ الطب وغيره وآخر النهار يرجع الى الازهر ليقرىء فوجا آخر . وفى الليل يجد ويشتغل مع نفسه وبقى بمصر الى أن توفى العزيز عثمان ، ثم رحل الى بيت المقدس حيث فرغ من تأليف كتابه (الافادة والاعتبار) ولم يمكث بها طويلا بل توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية ، وشرع فى التدريس والاشتغال ، وتميز فى هذه الفترة من حياته فى صناعة الطب ، وصنف فيها كتبا كثيرة ، وقبل ذلك كان منصـبا على علم النحو ، ومن دمشق ذهب الى حلب ، وقضى فترة فى تدريس وتصنيف وممارســة الطب ، ولكنه لم ينس أن يترددعلى جامعها يسـمع الحديث ويقـرىء العربيـة ، وكعادته وحبـــه لكثرة التجوال لم يلبث أن ترك حلب وفى هذه المرة الى بلاد الروم ، واقام بها سنين عديدة يتجول من بلد الى بلد ، وكانت خاتمة مطافه (ملطية) ، ثم عاد الى حلب وعاد الى التدريس والاشتغال بالطب والتـأليف ، وأتم كتابه « المدهش فى أخبار الحيوان » ثم خطر له أن يحج ويعرج فى طريقه على بغداد وأن يقدم للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفه ، ولما وصل بغداد مرض بها وتوفى سنة ٦٢٩ هـ (٨ نوفمبر ١٢٣١ م) وآن للجسم المرهق من كثرة الترحـــال أن يستريح الى الأبد ، ودفن بالدرويـة عند أبيه ، وذلك بعد أن ظل يرحل ويجوب بقاع الارض دون كلل ولا ملل فى سبيل العلم خمسة وأربعين عاما . تعلم وعلم ولمع نجمه فى ســماء العروبة لفترة طويلة مسـجلا فى صفحات الخالدين من العرب صفحة لا تنسى .

مؤلفاته :

ونلقى نظرة على مؤلفات البغدادى لنأخذ العبرة ، ولنعرف كيف كان السلف الصالح يتفانون فى تحصيل العلم ، وكيف بنوا هذا الصرح الشامخ للدولة الاسلامية ، فكانوا اعلاما بحق . ولقد أورد ابن ابى أصيبعة أسماء مؤلفات موفق الدين عبد اللطيف البغدادى وقد تضمنت ١٧٣ عنوانا بين مقالة صغيرة ، وكتب كبيرة جدا وزعها الدكتور عبد الرحمن بدوى على الوجه التالى :

١ ــ اللغة	(١٣)
٢ ــ الفقه	(٢)
٣ ــ النقد الأدبى	(٩)
٤ ــ الطب	(٥٣)
٥ ــ الحيوان والنبات	(١٠)
٦ ــ الفلسفة لكل فروعها	(٤٨)
٧ ــ علم التوحيد	(٣)
٨ ــ التاريخ	(٣)
٩ ــ الحساب والعلوم	(٣)
١٠ــ التعليم	(٤)
١١ــ السحر والمعادن	(٢)
ومنوعات	(٢٣)

ومن هذه المؤلفات العديدة أعطى البغدادى ثلاثة وخمسين مؤلفا فى الطب وقد طبعها الأب جورج قنواتى فى سبعة وخمسين مؤلفا ، ويقول الاستاذ سارتون فى كتابه « المدخل الى تاريخ العلوم » عن البغدادى : انه كان على ما يظهر أكثر رجال عصره تثقيفا وختم بحثه بقوله : « اننا فى حاجة ماسة فى ميدان بحوثنا الى دراسة منهجية لمؤلفات عبد اللطيف » .

ولقد تشبع البغدادى من كتب ابن سينا فى الطب ــ وللأسف الشديد لقد ضاعت وتبعثرت معظم مؤلفات البغدادى ، ولكن توجد قائمة كتبه التى سردها ابن ابى اصيبعة فى كتابه ، ووضعها الأب جورج فى قوائم عدة :

١ ــ الاختصارات	٢٢
٢ ــ مقالات أو كتب فى الطب	١٨
٣ ــ الأدوية	٨
٤ ــ ردود	٣
٥ ــ متنوعات	٦

ونلقى نظرة الى ما كتب فى التشريح لنرى تلك الروح العلمية وطريقة تحقيقه فى المشاهدة مخالفا للآخرين فى نقلهم من التراث القديم دون ما دقة ولا بحث واقتناع ، وهذا ما أثار اعجاب المستشرقين بالبغدادى يقول : « ومن عجيب ما شاهدنا ان جماعةممن ينتسبون الى الطب وصلوا الى كتاب التشريح (لجالينوس) فكان يعسر إفهاهم وفهمهم لقصور القول عن العيان . فأخذنا أن بالمقس تلا فيه رمم كثيرة فخرجنا اليه فرايناه تلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به .. فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفادنا علما ، لا نستفيده من الكتب ، اما انها سكتت عنها ، أو لا يفى لفظها بالدلالة عليها أو يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها . والحس أقوى من السمع دلالة . فان جالينوس وان كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس أصدق منه ، ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرجا ان أمكن .. فمن ذلك عظم الفك الاسفل . فان الكل قد أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عند الحنك وقولنا (الكل) انما نعنى

به جالينوس وحده فانه هو الذى باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينيه وصنف فيه عدة كتب ، معظمها موجود لدينا والباقى لم يخرج الى لسان العرب .

والذى شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز أصلا ، واعتبرنا ما شاء الله من المرات فى اشخاص كثيرة تزيد على ألفى جمجمة .. » .

وأما العجز مع العجب ذكر جالينوس أنه مؤلف من ستة أعظم ووجدته انا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ، ثم انى اعتبرته فى جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس .. وهو فى الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما أنا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل .

من هذا يتضح قوة ملاحظة البغدادى وعدم اكتفائه بما قال الأولون ، بل يذهب وينقب بين الجماجم والجثث ليتحرى بنفسه .. وان دل هذا على شىء فانما يدل على استقلاله الفكرى وتحديه لجالينوس، وعدم الانقياد لآرائه بشجاعة نادرة ، مما أضفى على البغدادى شهرة نالها وبقيت ذكراه حية والا لأصبحت طى النسيان .

ونختم الحديث عن موفق الدين بباقة من نصائحه ومواعظه ، من كلامه المأثور : « ينبغى أن تكون سيرتك سيرة الصدر الاول فاقرأ سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وتتبع أمثاله وأحواله ، واقتف آثاره ، وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك ، واذا وقفت على سيرته فى مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمريضه وتطببه ، وتمتعه وتطيبه ومعاملته مع ربه ومع ازواجه وأصحابه وأعدائه ، وفعلت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعادة » .

وقوله : « لا تتألم اذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل .. وأيضا فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة ، والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارب وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم .. اذا تمكن الرجل فى العلم وشهر به قطب من كل جهة .. وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون .. واعلم أن للعلم نورا وضياء يشرق على صاحبه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ، ولا تجهل بضاعته وكمن يمشى بمشعل فى ليل مدلهم » .

فهل بعد هذا تشجيع للعلم والعلماء ..

وقوله : « لا تترفع بحيث تستثقل ، ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر » .

ويقول .. واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات واذا أحزنك أمر فاسترجع ، واذا اعترتك غفلة فاستغفر واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك الى الآخرة » .

ذلكم هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادى كان علما فى الدين كما كان علما من أعلام الطب فى الاسلام .

كتاب الشهر

منهج القرآن في تطوير المجتمع

للدكتور محمد البهى

عرض الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الجديد الذى يقع فى أكثر من مائتين وسبعين صفحة من القطع الكبير ، حلقة من حلقات التفسير الموضوعى ، لأستاذنا الدكتور محمد البهى ، ولا أظن القراء بحاجة الى التعريف به ، والحق أنه غنى عن التعريف باسمه وفكره وشجاعته ، ثم إنتاجه القيم الذى أثرت به المكتبة العربية والاسلامية .

الكتاب مقدمة وخمسة فصول ، تناولت على التوالى : تشريع العبادات ، تشريع الأسرة ، تشريع العلاقات بين الأفراد ، تشريع الأموال والمعاملات المالية والتجارية ، ثم تشريع العلاقات مع الأفراد .

فى المقدمة ، أشار المؤلف الى المجتمع المادى ، وهو ما كانت الروابط فيه بين فرد وآخر ، روابط مادية .. منفعية مصلحية ، أى تقوم على تبادل المنفعة والمصلحة المادية وحدها ، كما أشار الى المجتمع الانسانى ، وهو ما كانت العلاقات بين الأفراد علاقات إنسانية ، تقوم على الأخوة والمودة والتعاون ، وراء تبادل المصالح والمنافع ، ولكن فى الدرجة الأولى غير مادية ، أما المجتمع الاسلامى ، فهو مجتمع إنسانى ، يدعو الى الروابط الانسانية بين الأفراد فى الدرجة الأولى . كما

يدعو الى تبادل المصالح المادية ، ولكن فى محيط الانسانية .. ودعوة المجتمع الاسلامى هى دعوة لإلغاء ظواهر المجتمع الماضى فى حياة الأفراد ، وإحلال ظواهر أخرى محلها ومنهج القرآن — كما نزل تباعا فى الوحى المدنى — يبتدىء بالتنديد بظواهر المجتمع المادى ، وهو المجتمع الجاهلى ، تمهيدا لإلغاء اعتبارها فى نفوس المؤمنين ثم يتبع ذلك بالأمر أو بطلب ظواهر أخرى بدلا منها لتحل محلها ، وتكون عنوانا على المجتمع الانسانى ، أو المجتمع الاسلامى الجديد ..

وبعد أن عرض المؤلف لمرحلة تطور المجتمع من الجاهلية الى الاسلام ، أشار الى أن دور الاسلام فى مرحلة التطوير ، هو دور نفسى واجتماعى ، يهيىء النفوس لقبول الوضع التالى لوضعها القائم ، وإذ يعتمد منهج القرآن على التطوير ، فانه ينفر من الإلزام الخارجى ، ويرى أن تلتزم النفوس من ذاتها بما تؤمر به ، أو تنهى عنه ، بعد أن تكون قد استعدت لقبول هذا أو ذاك ..

■ ■ ■

● فى الفصل الأول : فى تشريع العبادات « الصلاة والزكاة والصوم والحج » يلاحظ أن بناء المجتمع الاسلامى الى أن اكتمل تشريعه بسورة التوبة فى الوحى المدنى ، انتقل من وضع المجتمع الجاهلى — وهو المجتمع المادى الوثنى — الى وضع المجتمع صاحب الحضارة الانسانية ، الممثلة فى الإيمان بالقيم العليا التى تستشف من ذات المولى عز وجل ومن صفاته .. اى أن المجتمع الاسلامى لم يتكون فى تشريعه دفعة واحدة ، ولا انتقل فجأة من وضعه السابق الى الوضع المرغوب فيه ، وإنما الوقت الذى شغله نزول الوحى بالقرآن ، كان هو ذلك الوقت الذى تم فيه التحول .

واذا نحن تتبعنا كل عبادة على حدة — كما يذكر المؤلف — وجدنا أن منهج القرآن فى تطوير المجتمع — فيما يختص بالعبادات — اقتضى أن لا تفرض العبادات الواحدة دفعة واحدة ، وإنما كان قوامه التدرج ، ولذا : ما يأتى فى مرحلة بعد أخرى يختلف عن ذى قبل ، لا يعتبر إلغاء للسابق ، وانما يعتبر مكملا له ..

■ ■ ■

● وفى الفصل الثانى : فى تشريع الأسرة .. عرض المؤلف لعديد من المسائل التى تتصل بالأسرة ، عرض للعلاقة بين الزوجين ، والطلاق وما يترتب عليه ، ولعدة المطلقة ، ولعدم اساءة استعمال الطلاق ، ولعدة المتوفى عنها زوجها ، ولإرضاع المطلقة ولدها ، ولطلاق غير المدخول بها ، ولتيسير الأمر على المطلقة ، ولعلاج الخلاف بين الزوجين قبل الطلاق ، ويرى المؤلف من خلال هذا العرض لقضايا الأسرة ، ان القضية الرئيسية بين هذه القضايا هى قضية الطلاق ، وقد شغلت حيزا واسعا من آيات هذا التشريع ، ويليها القضية الثابتة ، وهى علاج الخلافات الزوجية والثالثة ، وهى إلغاء بعض العادات التى تسود المجتمع الجاهلى ، ويبدى المؤلف بعد ذلك بعض الملاحظات ذات

الدلالة المهمة ، فمثلا يلاحظ ، أن ما عنى به التشريع القرآنى هنا من قضايا يدل على أن هذا التشريع يهتم بمعالجة الأمور التى تثير المشاكل ، ويترك ما وراء ذلك للمعروف ، كما يلاحظ أن تركيز التشريع على شأن الطلاق يستهدف فى الدرجة الاولى وقاية المرأة من الاعتداء عليها ، كذلك يلاحظ جملة ، أن منهج القرآن فى تطوير المجتمع فى شأن الأسرة ، كانت عنايته فى الدرجة الاولى فى ابعاد مظاهر الجاهلية فى هذا الشأن فى تكوين المجتمع الاسلامى .

■ ■ ■

● وفى الفصل الثالث : فى تشريع العلاقات بين الأفراد .. عرض المؤلف لموضوعات أربعة هى : سياسة الأمة ، أخلاقيات الأفراد ، تكافؤ أداء العبادة والعمل من أجل الرزق ، ثم الوقاية من الجرائم الاجتماعية أو من الأمراض الاجتماعية ..

يقرر المؤلف أن التشريع المدنى للعلاقات بين الأفراد فى الأمة ، يقوم على أساس أن الروابط بين بعضهم بعضا هى روابط إنسانية ، أى يحكمها المستوى الانسانى بخصائصه المميزة : فوق الأسرة .. والقبيلة ، والشعب ، والعرق أو الأصل ، وأساس هذه الروابط الانسانية فى رسالة القرآن ، هو الإيمان بالله وحده ، لأن الايمان بالله وحده ينطوى على الايمان بالقيم العليا أو المثل الرفيعة ، التى تحدد صفات الله سبحانه ، والتى يسعى العابد الى الاقتراب منها بعبادته .

وإزاء تكافؤ أداء العبادة والعمل من أجل الرزق ، يشير المؤلف الى أن العبادات فى الاسلام ، لم تستهدف الحيلولة دون أن يباشر المؤمن سعيه وعمله من أجل الرزق ، بل يرى الاسلام أن سعى الانسان نحو أداء العبادة لا يقل فى القيمة والمنزلة عن سعيه فى سبيل الرزق والعيش ..

● وفى الفصل الرابع : تشريع الأموال ، والمعاملات المالية والتجارية .. عرض المؤلف لموضوعات خمسة ، هى الانطلاق فى الاستمتاع وتحصيل وسائل الترف لمن يملك المال ، الاحتياط من ضرر مترقب فى المعاملات المالية ، تخفيف حرمان المحرومين من أموال الأثرياء ، ثم من أموال الأعداء ، وأخيرا جرائم المال .

وفى بداية هذا الفصل الذى هومن الأهمية بمكان ، يؤكد المؤلف ، أن المجتمع الانسانى ، أو صاحب الروحية الانسانية ، وهو المجتمع المؤمن بالله وحده ، هذا المجتمع يتميز على المجتمع الجاهلى أو المادى الوثنى فبينما نرى مظاهر الأخير هى الحرص على المال فى الامساك والشح به ، وراء المصلحة الفردية ، وفى استغلاله استغلالا سيئا فى سبيل تنميته أو فى تحصيله . وهى تمثل ظاهرة ينتشر عنها فيه التعامل بالربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ورشوة الحاكم ، واستضعاف اليتامى وأكل أموالهم ، واستضعاف النساء والاعتداء على أموالهن أو استغلالهن استغلالا سيئا فى سبيل المال ، والانطلاق فى المتعة وفى تحصيل وسائل الترف لمن يملك المال ، وزيادة الحرمان لكل صاحب حاجة ،

واستغلاله استغلالا بشريا فى أسوأ أوضاعه من أصحاب المال ، فبينما هذا كله وأكثر منه فى المجتمع الجاهلى أو المادى الوثنى ، ترى المجتمع الانسانى أو صاحب الروحية الانسانية ، تختفى فيه أمارات ظاهرة الشح بالمال فى سبيل المصلحة العامة ، والاستغلال السيء للمال فى المعاملات المالية أو التجارية ، أى هو مجتمع على النقيض من المجتمع المادى .

■ ■ ■

● وفى الفصل الخامس والاخير : تشريع العلاقات مع الأعداء . يعرض المؤلف لموضوعات ستة ، هى : صلة المؤمنين بأهل الكتاب ، ودعوة أهل الكتاب الى طرح المعارضة ، موقف الصفح والصبر ، الحذر والحيطة ، النهى عن الولاء لهم ، ثم موقف القتال .

فى بداية هذا الفصل المثير بحق ، يشير المؤلف الى أن سورة البقرة ، كانت أول سورة فى الوحى المدنى ، أى فى الوحى الخاص بالمجتمع ، وفى بداية السورة حددت : المؤمنين والكافرين والمنافقين ، حتى يكون المؤمنون على علم بأنفسهم ، وبأعدائهم فى الخارج ، والداخل على السواء . كما يشير المؤلف الى أن الدعوة الى أهل الكتاب من جانب المؤمنين كانت ، هى أن يطرحوا المعارضة ، وترتكز هذه الدعوة على أمرين : الأول ، تذكيرهم بنعم الله عليهم ، والثانى ، اعلان المساواة بينهم وبين المؤمنين فى الجزاء . ان سلكوا جميعا المسلك المشترك فى الايمان بالله ، وهذه مرحلة أولى من مراحل التشريع بالنسبة لموقف المؤمنين من أهل الكتاب ، يتلوها مرحلة الصبر والصفح ، ومعها أيضا الحذر والحيطة ، والنهى عن الولاء لهم ، ثم جاءت مرحلة أخيرة هى مرحلة القتال ان اضطرهم هؤلاء إليه ..

■ ■ ■

● وبعد ...

فنحن أمام دراسة قيمة ممتعة ، ولم يكن هذا الا متوقعا من عالم كبير ومفكر عميق الفكر كأستاذنا الدكتور محمد البهى ، هذه الدراسة ـ كما قلت ـ حلقة من التفسير الموضوعى الذى اتجه إليه أخيرا فى مؤلفاته ، إن لدينا من تفاسير القرآن ما يزيد على الحصر ، ولكن هذه التفاسير أو جلها على الأقل لم تهتم بالمنهج القرآنى إزاء القضايا العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، وغيرها من القضايا التى تعايشنا ، وبعضها كان ولا يزال مصدرا للهجرم والتهجم على الفكر الاسلامى ، سواء من أعداء الاسلام : مبشرين ومستشرقين ، وماديين ملحدين أو وثنيين ، أو ممن غرتهم ثقافتهم الغربية من المنتسبين الى الاسلام بحكم شهادات ميلادهم ..

هذا حق الدراسة علينا ، أما حق القارىء .. القارىء الذى يؤمن بقيمة الفكر الاسلامى الذى يحمله المؤلف ، فهو أن هذه الدراسة لم تكن فى جو من الإثارة المتوقعة من المؤلف ولا سيما بالنسبة للقضايا التى لا تزال مصدر إثارة للجدل ، ليس معنى هذا أن الدراسة خلت تماما من جو الإثارة ، فنحن مثلا نرى المؤلف عندما عرض .. لسياسة الأمة .. يثير قضية لها أهميتها ، عندما أشار الى أن تدخل المؤمنين بالاصلاح بين

ذات البين فى الأمة ، وبالعدل وإحقاق الحق فيما بين الأفراد جميعا ، كمبدأ أساسى بين المبادىء الرئيسية فى سياسة الأمة الاسلامية هو السبيل للبقاء على تضامن الأمة وتماسكها .. وهو السبيل كذلك للحيلولة دون ما يسمى انقلابا أو ثورة فى الحكم ، وهو السبيل لحل مشكلة ما يسمى فى الوقت الحاضر بالفوارق بين الطبقات ، ولتحقيق ما يسمى أيضا بالعدالة الاجتماعية .. كذلك كان الكاتب مثيرا فيما كتبه حول « الربا » حين أكد أن مجتمع الربا على الضد — فى وضوح — من مجتمع الصدقات ذلك مجتمع مستغل أسوأ استغلال ، وهذا مجتمع يعطى من إنسانيته ، ولا يأخذ مقابل ما يعطى ، وحين أشار الى أن الكوارث والحروب التى مرت بالمجتمعات الأوروبية الغربية ، منذ القرن التاسع عشر الى الآن ، والتى تمر اليوم بالعالم كله ، تعود فى وقوعها الى إباحة الكنيسة البروتستنتينية فى القرن السادس عشر للربا ، كوسيلة مشروعة لاستثمار المال ، فقد أدى التعامل بالربا

— والربا المركب — الى تكديس المال فى جانب قلة من الأثرياء ، وهذا التكديس أدى بدوره الى ظهور الرأسمالية ..

وهناك بعض القضايا عرضها المؤلف أيضا ولكن فى هدوء ، فمثلا فى مجال الأسرة ، الطلاق وتعدد الزوجات وحقوق المرأة ، بينما مثل هذه القضايا لها ما يبررها اليوم من الإثارة .

وقد أصبحت فى البلاد الاسلامية مجالا للتطاول على التشريع الاسلامى كذلك قضية الولاء لغير المسلمين صليبيين كانوا أم ماديين ملحدين ، أم وثنيين متربصين بالاسلام ، ومن المؤسف المضى أن الدول الاسلامية اليوم — وبدون استثناء — قد فقدت أنظمتها الحاكمة أو المتحكمة إرادتها المستقلة ، وأصبحت تدور فى فلك أو أكثر من تلك الأفلاك ..

واذا نحن تجاوزنا دور الإثارة فى الدراسة ، والتى لم تكن متوافرة كما ينبغى ، ولا سيما أن المؤلف من المشهود لهم بالشجاعة فى الرأى ، من حقنا أن نقف وقفة سريعة ، أمام مسألة أخرى جديرة بالاهتمام ، فالمؤلف قد عرض لمسائل خلافية ، كانت فى حاجة الى مزيد من البسط ، ففى المقدمة يقرر المؤلف أنه لا ناسخ ولا منسوخ فى رسالة الاسلام ، وإنما يقع بين رسالة رسول ، ورسالة رسول آخر .. إذ الرسالة التالية قد تلغى بعض ما فى رسالة سبقتها ، لحكمة يريدها الله سبحانه ، ومع أن رأى المؤلف هو الرأى المستنير الذى نؤمن به ، الا أن المسألة ما دامت أخلاقية ، كانت فى حاجة الى شىء من التوضيح ..

● وبعد مرة أخرى ..

فهذه الملاحظات السريعة لا تقلل من شأن هذه الدراسة القيمة الممتعة انها دراسة — بلا أدنى مجاملة — تعتبر من الدراسات ذات المستويات العليا الرفيعة ، وكم نحن فى حاجة الى المزيد منها ، والفكر الاسلامى اليوم يواجه كثيرا من الأعاصير التى تهب عليه من الغرب الصليبى والشرق المادى الالحادى .. على السواء ..!

الديــن والصحــة

قال الله عز وجل « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » ــ الاعراف ــ وقال تبارك وتعالى « **ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما** » ــ النساء ــ .. الى غير ذلك من الآيات التى تنادى بحفظ الصحة والاهتمام بشأنها فهى من نعم الله الكبرى التى من الله بها على عباده فعلى المتمتع بهــا ان يحفظها وعلى المفتقر اليها أن يسعى للحصول عليها بكل الطرق الممكنة ، فالصحة كنز ثمين وثروة غالية لا تقدر بمال ولا يعرف قيمتها تماما الا القليل الذى اقعده المرض فأصبح يقاسى من الآلام والسقم ما لا صبر عليه . والعاقل من عرف داءه واهتدى لمصدره وقام على استئصاله بقدر ما يمكنه . ان فى كتاب الله الكريم آيات كثيرة تحض على العناية بالجسم من ناحية النظافة ، وحفظ الصحة ، وعدم ارهاقهــا بالمشاق أو حرمانها من متاع الحياة الدنيا . قال سبحانه وتعالى : « **قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » ــ الاعراف ــ وليعلم كــل انسان ان هذه عناية الاسلام بالناحية المادية من الحياة الانسانية .

أما السنة النبوية فهى حافلة فى هذه الناحية بالحكم الباهرة ففى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كــان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » وليعلم كل انسان ان للجسم مطالب كثيرة وكلهــا ضرورية للحياة ، على شريطة الاعتدال فيها ، فالغذاء وهو أول المقويات الجسمية قد ينقلب ضربة قاضية على الحياة اذا استعمل بافراط واكثار واذا لم تراع فيه القواعد الصحية كجمع المتعاكسات من المــواد الغذائية ، ولهذا فقد أجمع أطباء العالم على ان ملاك الصحة الانسانية هو الاعتدال فى الشــــهوات الجسمية ، بهذه القاعدة الرئيسية جاء الدين الاسلامى .

واذا تأمل المسلم اثر الصلاة والصيام والحج وهى من أركان الاسلام عــرف انها تدعو بأعمالها الى الصحة والرياضة الى جانب دعوتها الى النظافة ، فحركات الصلاة قيام وركوع وسجود وجلوس .. وهى حركات نشيطة يصح بها البــدن وتلين المفاصل وتنشط دورة الــدم والتنفس وتهز الامعاء والمعدة ويقوى الهضم وتدفع الفضلات ، وهى تمارين بارعة اذا احسنت ، كما وصفتها السنة النبوية ، لا كما ينقرها أكثر المصلين كنقر الديك .

وفى الصيام منافع كثيرة طبية ووقائية وعلاجية ، ففيه يصح البدن وتقوى المعدة باعطائها فرصة للراحة شهرا فى العام مما يثقلها من أنواع الطعـــام والشراب .

وفى الحج رياضة مفيدة تتعود بها الاجسام والأرواح تحمل المشاق والصبر على المتاعب ففيه رحلة طويلة خلال المناسك من مكة الى منى فمزدلفة فعرفات ثم العودة خلالها والطواف بالكعبة المشرفة والسعى بين الصفا والمروة .

فلله الحمد على ما أراد لنا سبحانه وتعالى من طهارة ونظافة وصحة وعافية حتى كملت لنا بذلك النعمة والصحة والعافية بالتنظيف والتطهير والتنزه عـــن الأوساخ والأقذار التى هى مصدر كل مرض ووباء وبلاء . وعليه يمكن تحصيل فائدة كبيرة باتباع الوصايا الطبية الآتية :

١ ــ اجتنب السهر والكسل والتعب الكثير .
٢ ــ اعتدل فى المأكل والمشرب .
٣ ــ اجتنب المسكرات والمكيفات والدخان وقلل من شرب الشاى والقهوة .
٤ ــ نم مبكرا واستيقظ مبكرا تصبح معافا مسرورا .
٥ ــ متى استيقظت صباحا لا تتقلب فى الفراش متثاقلا فان ذلك يضعف الجسم .
٦ــ لا تتنفس من فمك وتنفس من انفك ، فانه يقوى الرئتين .
٧ ــ لا تأكل حتى تجوع واذا أكلت فلا تشبع .

علم أن الصحة اثمن ما فى الوجود ، بل الصحة افضل من الثروة وكم ترى مريضا تمنى أن يفقـــد ثروته ليكسب الصحة والعافية وقد درج الناس فى تحياتهم على أن يسألوا : كيف الصحة .

وهكذا .. أجمع الكل على تقدير قيمة الصحة .

فان انتاج الأمة ورقيها يقاس بتقدم صحة افرادها ، فاذا هزلت الاجسام وضعفت قل انتاجهم وقل عدد البارزين النابهين فى الأمة فلا يرتفع لها شأن ولا يعلو لها ذكر ، فما أسعد أمة يرتفع فيها المستوى الصحى لابنائها ويبلـــغ ذروة الكمال وما أعظم ما يكون عليه انتاجها وقوتها فقوة الجندى والعامل الزراعى والعامل الصناعى والكاتب والمفكر وعلماء البحوث متوقفة على صحـــة الابدان وسلامة العقول والأذهان ، فالعقل السليم فى الجسم السليم .

لا تغتر بما تراه فى العالم الغربى من نظافة وصحة ، فان ذلك سرى اليهم أيام احتكاكهم بالمسلمين فى المشرق والمغرب أيام الحروب الصليبية وأيام تغلغـــل الفتح الاسلامى فى الأندلس وما جاورها .

فالحمد لله على دين الاسلام الذى فيه السعادة ــ سعادة الدنيا والآخرة ــ وصحة الأبدان والعقول والأرواح والهدى الى الصراط المستقيم .

عبد الله بن عبد الرحمن آل سند

التهجم على الافتـــاء

نشرت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) مقالا تحت هـذا العنـوان عـالج فيه كاتبه مشكلة خطيرة يعيشها مجتمعنا الاسلامى هذه الأيام .. فقد كثر عدد الذين يتكلمون فى الدين بغير علم وأخذوا يحملون النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فوق ما تحتمل لكى يطوعوها لفكرة اعتنقوها سابقا ..

ومع اننا نعيش فى عصر يؤمن بالتخصص فى كل شىء .. الا انهم لا يرون ان للدين علماء متخصصين هم القادرون على الافتاء .. لهؤلاء نقتطف بعض ما جاء فى المقال القيم :

لكل علم رجال متخصصون فى دراسته ، فالطب لا يخوض فى مسائله غير الطبيب ، والقانون لا يلج حديثه غير القانونى ، والهندسة لا يناقش أمورها غير المهندس ، فاذا الم غير متخصص ببعض ما لا يمت الى دراسته سأل فى تهيب وحذر ، وانتظر الجواب الصائب مذعنا لما يشير به أولو العلم دون معارضة أو لجاج ..

نجد ذلك في كل علم من علوم الحياة الا الفقه الاسلامى ، فقد كان من مآسيه أن يخوض فى مسائله كل متكلم من غير المتخصصين فانت تجد كاتب المقالـــة الاجتماعية ، وصاحب التعليقات الاذاعية ، ومحـــرر اليوميات الصحفيـــة ، يحمل الدين . ما لا قبل له به من الآراء فيفسر الآية القرآنية على غير وجهها ، ويميل بالحديث النبوى منحرفا عن دلالته ، ويقتطع شذورا يقتطفها دون بصر من آيات الكتاب لتكون دعامة لزعمه ..

فاذا قلت لهؤلاء : يا قوم انكم تهرفون بما لا تعرفون ، وان للدين علماءه المتخصصين يصدرون عن أمره وينهلون من حوضه فى يقظة ووعى ، اذا قلت ذلك مخلصا لله ولكتابه المبين صاح بك الصائحون من هؤلاء : كلنا رجـــال الدين ، ليس فى الاسلام أناس يحتكرون الحديث عن الاسلام .. !

نحن نعرف انه ليس في الاسلام رجال دين بالمعنى الذى كان ولا يـــزال مشتهر لدى الكنيسة المسيحية .

ولكن للاسلام علماء دين قد درسوا كتابه ، وفهموا أسراره ، وفقهوا احكامه وهم وحدهم مصدر الافتـــاء ، وليس لكاتب غير متخصص فى دراسة الشريعة

الاسلامية ان يكون احد هؤلاء لانه اصبح بطريقة ما كاتبا فى مجلة اسبوعية او محررا فى صحيفة يومية او معلقا فى اذاعة عامة فله ــ فى زعمه ــ ان يتحدث عما لا يعرف من قضايا التشريع ، مستندا الى قشوره السطحية ، ومحرفا الكلام عن وجهه فاذا تعرضت له بالنقد ، وحكمت عليه ان يترك مجالا لم يتهيأ له ، صاح بك فى تنمر مستكبر : ليس فى الاسلام رجل دين .. !

انك لتقرأ لهؤلاء وتسمع عنهم ما يغيظ ويحنق ، وانهم ليتطاولون الى القضايا الدقيقة فيلوكون القول بألسنة مريبة ، وفيهم من يتجاوز الفروع الفقهية المحدودة الى القواعد الأصولية الكلية التى لا يقف على ابعادها غير الراسخين . فيتحدث عن المصالح المرسلة والاستحسان وسد الذرائع والضرورات المبيحة للمحرمات، وهو ــ شهد الله ــ لا يدرى من ذلك غير الفاظ عائمة لا تستقر على مدلول دقيق . ويمضى الكاتب قائلا :

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم باحسان ، يتهيبون الافتاء مع رسوخ أقدامهم وسعة أذهانهم ، فيحيل بعضهم على بعض ، خشية الزلل ، حتى قال ابن أبى ليلى : قد أدركت فى هذا المسجد ــ مسجد رسول الله بالمدينة ــ مائة وعشرين من الانصار ما منهم احد يحدث الا ود ان اخاه قد كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا الا ود ان غيره قد كفاه ، وحتى روى عن الامام الشعبى انه كان اذا سئل عن مسئلة فقهية أحال على زميل يشاركه البصر ، فيحيل الآخر على غيره ، وتدور الاحالات حتى ترجع المسألة الى الشعبى بعد طول طواف فلا يجد بدا من الافتاء ، وما ذلك كله الا خوف الخطأ فى الاجابة ، مع ان المجتهد الحقيقى فى الاسلام له أجر واحد اذا أخطأ واجران اثنان اذا أصاب .

ولعل ثقة الفقيه من هؤلاء الاجلاء بزملائه كانت مما يدفعه الى الاحالة عليهم ، بمعنى ان إماما كالشعبى ما كان ليحيل على غيره اذا طلب انسان حكم الله فيما لا يعرفه سواه ، وقد ولد هذا الحذر الشديد فى بعض النفوس المؤمنة خشية ورهبة كانتا موضع العجب ، حتى قال بعض كبار الائمة : (لولا الخوف من الله ان يضيع العلم بالسكوت لما افتيت احدا فتوى يكون له منها الهناء ، وعلى وحدى شديد الوزر اذا اخطأت الرأى) .

واذا تركنا الشعبى وزملاءه الى من وليهم بعد ذلك من ائمة الاسلام ، فاننا نجد عالم المدينة مالك بن انس ، رضى الله عنه ، يهتف بكلمته المأثورة : (من قال لا أدرى فقد افتى) ، وهى كلمة تحملنا على ان نقف لديها متأملين ، لأن الامام مالكا كان حاضر البديهة واضح الحجة ، عظيم الدراية ، ومثله فى جلال علمه وطول تجربته وكثرة معاناته لا يعوزه ان يجد الرد السريع على اكثر ما يوجه اليه من الاسئلة المتفرعة فى مسائل الفقه والتشريع ، ولكنه كان يمسك عن الاجابة فى بعض الاحايين ليضرب المثل الملموس على وجوب التثبت ودقة التحرك ، اذ وجد فى عصره اناسا يهجمون على الفتوى السريعة فى كل مسألة تعن ، ويرون فى سرعة الاجابة من التطاول والمباهاة ما لا يليق برجل العلم ، وقد يكون فيهم من تزل قدمه فيخطىء فى الرد حين يظن بنفسه السداد ، رأى الامام ذلك وآثر ان يقول قولته : (من قال لا أدرى فقد افتى) ، لينهى هؤلاء المتسرعين عن الخبط الطائر دون تريث واطمئنان وليعظم لديهم مكانة العلم والدين ..

عودة المهاجر

قصة إسلامية

للأستاذ : عبد اللطيف فايد

مسيرة طويلة شاقة قطعها النبى وصحبه فى الجهاد لتصبح كلمة الله هى العليا .. فى كل مرحلة من مراحلها معاناة وامتحان .. وتنتهى كل مرحلة بتحقيق كسب جديد لمعسكر الايمان ..

انتهت مرحلة الدعوة سرا للدين ، وأسفرت وجوه المسلمين جميعا تؤكد الاصرار والعزم ..

وتمت بيعة العقبة الأولى .. ثم الثانية — وهى الكبرى — مع أهل يثرب على نصرة النبى اذا هاجر اليهم ..

وهاجر النبى وصحبه الى المدينة ، وتحقق بهجرتهم نصر سياسى جديد ..

وقويت شوكة المسلمين فى المدينة بكثرة الأنصار ، وخاضوا مع المشركين حروبا كثيرة ، كانوا فيها قليل عددهم ، قليل سلاحهم ، لكن إيمانهم الكبير القوى جعل النصر يسعى اليهم :

فى وقعة بدر كانت الضربة الأولى لعصابات الشرك ..

وفى وقعة أحد ابتلى الله المسلمين ، ولقنهم درسا تعلموا منه جانبا هاما من فن الحرب وطاعة التخطيط المنظم للمعركة ..

وفى وقعة الخندق ــ حين اجتمعت أحزاب الكفر فى أكثر من خمسة آلاف مقاتل من حول المدينة ومعهم خيلهم وابلهم وعتادهم الحربى ، يريدون استئصال المسلمين عن آخرهم ــ رأى المسلمون كيف نصرهم الله بقوة إيمانهم ، وبالريح التى شردت أعداءهم ، وبالأمطار التى أطفأت نيرانهم فارتدوا خائبين ..

وفى الحديبية انتصر النبى والذين معه انتصارا سياسيا هاما حين عقدوا عهد وقف القتال بينهم وبين أهل مكة وفيه اعترفت قريش بالمسلمين شخصية مادية ومعنوية ، شأنهم شأن الدول ذات السيادة والسلطان .

وبين كل ذلك سرايا يرسلها النبى وغزوات أخرى يقودها فتمضى يوما أو أياما فى قتال العدو الذى يتربص بالدعوة ، ثم تعود الى المدينة بالنصر والغنيمة .

★ ★ ★

وتتوالى أنباء هذه الأيام العظيمة واحدا فى أثر الآخر الى أرض الحبشة حيث تقيم بعثة النبى هناك ، فتمتلىء قلوب المهاجرين غبطة وفرحا ، ويعود منهم من يعود ليشارك النبى والذين معه جهادهم .. والباقون يحرقهم الشوق الى اللحاق باخوانهم ليكون لهم شرف القتال والاستشهاد فى نصرة دين الله والدفاع عنه .. لكنهم رغبوا فى المقام حيث هم ، وان كانت قلوبهم تكاد تقفز من أقفاص الضلوع الى الأرض التى يتحقق لهم فيها كل يوم نصر جديد ، فالنبى هو الذى أمرهم بالهجرة ، وهو الذى اختار لهم مكانها ، ويجب عليهم الامتثال لأمر قائدهم الذى أصدره اليهم حتى يوجه اليهم أمرا جديدا ، لأنه يعلم من الله ما لا يعلمون .. « وجعفر بن أبى طالب » من أشدهم شوقا الى العودة ولكنه أمير للمهاجرين بأمر النبى ، وليس

له أن يعود تاركا وراءه أحدا ممن ولاه النبى أمرهم والتحدث باسمهم ، وان كان لا محالة عائدا فلا بد أن يكون آخر العائدين ..

★ ★ ★

أمر هام جدا صاحب الأحداث فى حياة الرسالة التى هاجر من أجلها جماعة من المؤمنين الى الحبشة :

فقد كان اليهود فى جزيرة العرب قوة قادرة ، يملكون من أسباب الزراعة والصناعة والتجارة والمال مثل ما يملكون من وسائل الخداع والمكر والغدر .. ويسخرون كل ما يملكون لتدعيم سلطانهم وشوكتهم على قبائل العرب ، لتكون عونا لهم على ما يريدون .. وفى المدينة وحولها كانت مراكزهم الكبرى وحصونهم المنيعة ، يباشرون منها نشاطهم الآثم الخبيث ..

عندما هاجر النبى الى المدينة لم يقف اليهود بمعزل عن أهلها الذين أحتفوا بمقدمه ، بل شاركوا فى هذه الحفاوة حتى ينجلى لهم الأمر ، فقد علموا أن قوة جديدة ترفع راية التوحيد توشك أن تنمو أعوادها على هذه الأرض .. ولم يكن النبى بما فطره الله عليه من ذكاء وفطنة غافلا عن طباع اليهود ، فبسط لهم يده ، وتألف قلوبهم عسى أن يكون منهم خير فى مستقبل الأيام ، وعقد لهم أول وثيقة سياسية فى تاريخ الأديان السماوية ، أمنهم فيها على دينهم وأموالهم . وأخذ عليهم ولهم المواثيق فى نصوصها .

ولم يكد « عبد الله بن سلام » أول يهودى بالمدينة يعلن اسلامه حتى ظهرت عليهم طباعهم الخسيسة .. وتطور ظهورها من جدل حول الدين الجديد الى محاولة الوقيعة بين المسلمين ، والى نقض المؤاخاة بينهم ، والى افساد حلف الألفة بين الأوس والخزرج ، لتحكم علاقاتهم من جديد حروب طاحنة .

ولما لم تفلح مكائدهم حاولوا اقناع النبى بمغادرة المدينة الى بيت المقدس حيث نزل كل الرسل من قبله .

ولكن الرد على هذه المكيدة جاء من السماء ليأمر النبى بتحويل قبلة صلاته من بيت المقدس الى المسجد الحرام بيت ابراهيم واسماعيل ..

وما كان اليهود ليتركوا محمدا والمؤمنين معه يحاربون قريشا فى وقعة بدر بدون مكائد وغدر لو كانوا يعلمون أن فى قدرتهم

الانتصار الذى أيدهم اللـــه به .. واتجهت حيلهم ضد المســلمين وجهة جديدة فهم يغرون بهم المشركين وتسافر رسلهم بالأشعار فى التحريض عليهم ، والتشبيب بنسائهم .. وبذلك دفع بعض اليهود برءوسهم الى سيوف المسلمين .

ولم يكن أمام النبى بد من استخدام القوة ضدهم ، فهم يهددون الدولة الاسلامية ويؤلبون عليها أعداءها ، ويتآمرون ليحيلوا نهارها ظلاما وأمنها شقاء ونعماءها بؤسا وتشردا .

كان بنو قينقاع أكثر يهود المدينة اعلانا للعداوة ، فحاصرهم النبى حتى أجلاهم عن ديارهم جزاء ما نقضوا من عهد وما جاهروا به من عدوان ..

وظن اليهود من حول المدينة وفى داخلها أن انتصار المشركين فى يوم أحد لم يدع للمسلمين قوة يقومون بها أو يقدرون على قتال .. لكن انتصـــار المسلمين فى السرايا منذ صـــبيحة اليوم التالى مباشـــرة ليوم أحد ، وعـــودة الرهبة منهم الى نفوس المشـــركين واستعادتهم هيبتهم لدى أهل المدينة جعل يهود بنى النضير يتآمرون على حياة النبى فى أحد مجالسه معهم ، وأوشـــكت المؤامرة على التنفيذ ، ولولا وحى من الله الى رسوله بالانصراف من هذا المجلس لنجحت مؤامرة اليهود ، فحاصر المسلمون ديارهم حتى أجلوهم عنها بعد قتال دام عشرين يوما .

هل يقف تآمر اليهـــود من حول المدينة بعـــد أن رأوا مصير إخوانهم الذين أمعنوا فى الكيـــد والخديعة ونقض العهود ؟.

ليس من طبع اليهود الاعتبار ، ولا الصدق ، ولا الأمانة ، ولا حسن الجوار ، ولا ترك الأمور تجرى من حولهم دون أن يعكروا عليهـــا .

ان همهم الأكبر عندئذ أن يقضوا على الدعوة الاسلامية وعلى صاحبها والمؤمنين معه ، فعادوا إلى التحريض من جديد عليهم .

وفى اليوم الثالث عقد النبى لواء قتاله « لعلى بن أبى طالب » وقال له : « خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك » ..

وقاتل على ومن معه قتالا باسلا حتى انتصروا ..

« القموص » .. ثالث الحصون التى دار فيهـــا القتـــال .. استسلم اليهود داخله بعد أن اشتدت عليهم هجمات المســـلمين ، وأيقنوا أنه لا مفر لهم من الهزيمة .

وبعد قتال عنيف بين الفريقين تداعت الحصـــون المنيعة واحدا

بعد الآخر ..

لم يبق الا حصـــنان وتنتهى خيبر كلهـــا ، هما « الوطيـــح والسلالم » ..

وقبل أن يوجه المسلمون اليهما ضربة واحـــدة ارتفعت منهما الأصوات تعلن التسليم بدون قتال ..

فتح الله خيبر على المسلمين .. وكان النبى رفيقا بأهلها اليهود حين حقن دماءهم وأبقاهم على أرضها التى آلت الى المسلمين يعملون فيها ولهم نصف انتاجها يعيشون منه ويرتزقون ..

وغنم النبى والمؤمنون المقاتلون معه ما كان فى الحصون المنيعة من مال ومتاع ..

★ ★ ★

فى الفصل الأخير من هذه الملحمة العسكرية الرائعة ، التى دك فيها المسلمون حصـــون اليهود ، وساعة تقســـيم الغنائم رأى المسلمون كوكبة من الرجال تثير من حولها الغبار تتراءى من بعيد .. واقترب الركب فاذا هم بقيـــة مهاجرى الحبشة عـــــادوا بأمر النبى ..

كان النبى عندما ظهرت بشائر هـــذا النصر العظيم فى أول القتال قد بعث الى النجاشى يشكره على حسن جـــواره لأصحابه ويطلب اليه اعادتهم ، فلم تعـــد الآن بهم ولا بإخوانهـــم المؤمنين ولا بالدعوة نفسها حاجة الى البقاء فى الهجرة والاغتراب ..

امتلأ قلب النبى صلى الله عليه وسلم فرحا وبشرا لعـــودة المهاجرين .. وتقدم اليه زعيمهم « جعفر بن أبى طالب » يقص عليه قصة الأعوام التى قضوها فى الحبشة ، وحسن معاملة أهلها وملكها لهم ، وما حققوا خلالها من نصر سياسى لدعوة الاسلام ..

وعلى أرض النصر عانق النبى جعفرا وقبل ما بين عينيه كرمز للذين هاجروا جميعا ، وعبر عن هذه الفرحة الغامرة والاغتبـــاط العظيم بعودتهم حينما قال لهم جميعا فى شخص زعيمهم : « مـــا أدرى بأيهما أنا أفرح ، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر .. »

وأخذ النبى يوزع على المقاتلين ما أفاء الله عليهم من أموال خيبر وخيراتها ، وجعل لكل واحد من المهاجرين العائدين نصيبا فى هذا الفيء كأنهم شاركوا فى القتال الذى حقق الانتصار ..

إعداد : ف. م

الكويت :

● جرت انتخابات مجلس الأمة الجديد يوم ٢٧ يناير ، وسيفتتح مجلس الأمة الجديد دورته الأولى يوم ١١ فبراير تحت رعاية سمو أمير البلاد المعظم وسيلقى سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء بيانا ببرنامج الوزارة الجديدة التى سيتم تشكيلها فى الأسبوع الأول من فبراير

● زار البلاد السيد تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا على رأس وفد ماليزى وقد استقبله سمو أمير البلاد المعظم وناقش مع سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء المسائل ذات الأهمية المشتركة بين البلدين .

● صرح السيد عبد الرحمن العتيقى وزير المالية والنفط بأن فى النية فرض السيطرة على صناعة البترول خلال الشهور القليلة ، وقال : انه أبلغ بالفعل بعض الشركات الاجنبية بهذا القرار .

● من أهم المشاريع التى ستنفذها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية خلال العام الحالى انشاء (٢١) مسجدا جديدا بالاضافة الى هدم واعادة بناء (٧) مساجد داخل المدينة .

● بلغ عدد الخريجين من جامعة الكويت هذا العام ٦١٢ خريجا .. منهم اثنان بدرجة الدكتوراه ، و ٢٧ ماجستير ، و ٨٣ دبلومات عليا ، وقد احتفل بتوزيع الشهادات عليهم .

مصر :

● افتتح شيخ الأزهر مسجد المزرعة الآلية بالتحرير حيث القى خطبة الجمعة ، وأم جماهير المصلين ، ثم حاضرهم عن (مسئولية العمل والانتاج فى الاسلام) .

● حضر فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر الدورة السابعة للمجلس الاعلى الاستشارى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .. وقد حضر الدورة مندوبون عن جميع الدول الاسلامية وناقشوا الاستعدادات لافتتاح الجامعة وبحث الوسائل التى تحقق أهدافها .

● تقيم الادارة التعليمية بوسط القاهرة مسابقة فى حفظ بعض سور القرآن الكريم وتفسيرها بين تلاميذ المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية وما فى مستواها .

● قدم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبة اسلامية باللغات العربية والانجليزية والاوردية والسواحلية ومنح دراسية ومصاحف شريفة ومرتلة لكل من نيجيريا وباكستان .

● تقرر تخصيص مبلغ (١٠٠) الف جنيه لدعم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى مختلف المحافظات .

السعودية :

● زار جلالة الملك فيصل كلا من سوريا والاردن ومصر واجتمع الى رؤسائها وتباحث معهم فى الوضع الراهن وتطوراته .. ودعم دول المواجهة بما يكفل رد المعتدين وتحقيق النصر على الصهاينة .

● سيقام احتفال يضم ممثلين عن جميع البلاد الاسلامية يحضره جلالة الملك فيصل لافتتاح المركز الاسلامى بلندن فى العام القادم ، وسيقام المركز على مساحة فدانين منحتهما الحكومة البريطانية ، وسيلحق بالمركز اكبر جامع مركزى فى العالم يتسع لستة آلاف شخص ، كما يلحق به مدرسة لتعليم أصول الدين ، ومكتبة تضم آلاف الكتب الدينية وقاعة للمحاضرات .

● تقرر أن يعقد مؤتمر (التضامن الاسلامى فى مجالات العلم والتكنولوجيا) فى الفترة الواقعة بين ١٧ و ٢٣ من ربيع الاول تحت اشراف جامعة الرياض ، وسيدعى لهذا المؤتمر نخبة من العلماء والمهندسين المسلمين .

● يزور السكرتير العام للامم المتحدة المملكة العربية السعودية يوم ١٢ فبراير لاجراء مباحثات مع جلالة الملك فيصل ودراسة الموقف فى المنطقة .

الأردن :

● صرح مسئول كبير بأن صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت سيزور الأردن قريبا خلال جولة سموه فى الدول العربية.

الجزائر :

● تم الغاء كافة الضرائب على الفلاحين الجزائريين وسيستفيد من القرار ٣ ملايين مواطن .

• • • • •

أخبار متفرقة

بنغلادش :

● وافقت حكومة بنغلادش على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى داكا .

أوغندا :

● منحت العراق أوغندا ٢٨ منحة دراسية فى الجامعات العراقية للعام الدراسى القادم .

الفلبين :

● أهدى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة قسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الفلبين الحكومية بمانيلا (٢٠٠٠) كتاب اسلامى باللغة العربية والانجليزية .

السيدة رقية
رضي الله عنها

إعداد الأستاذ : فهمى الإمام

اسمها : رقية بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

والدتها : أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

خطبتها : جاء وفد ابى طالب يخطبها زوجة لعتبة بن ابي لهب .. فوافق الرسول .. ورضيت ابنته (رقية) بما اراد والدها .

فى بيت ابى لهب : إذا صحت الرواية القائلة بان طلاقها من (**عتبة**) تم بعد انتقالها الى بيت أبى لهب فإنها تكون قد قاست من الآلام والعذاب الشيء الكثير .. فقد بدأ والدها صلى الله عليه وسلم يدعو الى دينه الجديد .. ووقف منه أبو لهب وزوجه (**أم جميل بنت حرب**) موقف العداء والاضطهاد للرسول وصحبه .. بل ما رؤى احد اشد منهما عداوة لرسول الله .. وكانت أم جميل شرسة الطبع سليطة اللسان .. قاسية القلب .. وكان زوجها (**ابو لهب**) العدو الأول للمسلمين وإمعاناً فى حربهما للرسول اقسم أبو لهب على ولده : ان يطلق بنت محمد .. واقسمت أم جميل : الا يظلها وبنت محمد سقف .. فعادت (رقية) الى بيت والدها وفى جوار ابيها وامها واخواتها ..

زواجها : وما لبثت (رقية) حتى ابدلها الله خيرا من عتبة فجاء : **عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس** .. يخطبها من والدها صلى الله عليه وسلم .. فوافق عليه الرسول زوجا لابنته .. وقد كان عثمان فتى قريش الكريم .. فقد اعزه الله فى الجاهلية نسباً وحسبا ومالاً .. واعزه الله فى الإسلام فكان من المسلمين الاولين .. وكان ذا شأن ومكانة ، وله مواقف جليلة ..

هجرتها الى الحبشة : هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان الى الحبشة .. وكانا اول من هاجر اليها . فارقا الأوطان والاهل كارهين .. واجتمعا فى الطريق مع الوفد المهاجر

فرارا بدينه وعقيدته ..
وكان غنـاء الحادى :

الأهـل والأوطـان فراقهم صـعب
لكنـه الإيمـان فـداؤه القـلب
والـروح والأبـدان فليقبـل الرب
فليقبـل الرب

ثم وصلا الحبشة .. وقد اثرت فى صحتها الأحداث فأسقطت جنينها الأول .. وخيف عليها من شدة الإعياء والضعف . وقاست ما قاست فى بلاد الهجرة ..

العـودة الى مكة : انطلقت إشاعات فى الحبشة أن قريشا ثابت الى رشدها .. فآمنت طائفة منها بالدين عن اقتناع ويقين ، ورغبت اخرى فيه سعيا وراء الغنم والمجد حين راوا تزايد عدد المسلمين .. وحين احسوا بأنه سيكون لهم شأن . ولما وصل الركب العائد الى مشارف مكة راوا نفرا من إخـوانهم المسـلمين المستضعفين يذوقون سوء العذاب من زبانية قريش .. فدخلوا فى جوار بعض وجهاء مكة .. وآبت السيدة رقية الى بيت ابيها .. فهالها ان والدتها السيدة خديجـة قد انتقلت الى جـوار ربها .. واعتصرها الأسى والحزن .

الهجرة إلى يثرب : وما كاد يستقر بها المقام فى مكة حتى هاجر والدها صلى الله عليه وسلم الى يثرب .. وهاجرت هى ايضا مع زوجها عثمان رضى الله عنه ..
وقضت ايامها بجوار زوجها .. ومع والدها صلى الله عليه وسلم واخواتها ..

ولادتهـــا : فى دار الهجرة وضعت طفلها عبد الله بن عثمان .. وكانت به سعيدة فقد وجدت فيه العزاء لثكلها جنينها البكر ، ومصابها فى أمها ، وما ذاقته فى هجرتها .. ولكنه مات طفلا .. فحزنت عليه كثيرا .. واصابتها الحمى .

وفاتهـــا : بقى عثمان الى جوارهايمرضها ويرعاها ، فتخلف بسبب ذلك عن شهود موقعة (بدر) .. ثم عاد المسلمون من الموقعة منتصرين .. وفى هذه الأثناء اسلمت السيدة رقية روحها الطاهرة الى بارئها .. وحزن الرسول على فقدها ، وصـلى عليها .. وشيعت يثرب بنت الرسول ذات الهجـرتين الى مثواها الأخير .
رضى الله عنها وارضاها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

اليوم الاسبوع	صفر ١٣٩٥	فبراير ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
اربعاء	١	١٢	١٨٦	١١٣٤	١٢٥٥	٦ ٢٨	٩ ٣٧	١ ١٨	٥ ٨	٦ ٣٠	٢ ١٢	٣ ١٢	٥ ٣٥	٦ ٥٣
خميس	٢	١٣	١٨٧	٣٣	٥٣	٢٧	٣٧	١٨	٨	٢٩	٢	١٢	٣٥	٥٣
جمعة	٣	١٤	١٨٨	٣١	٥٢	٢٦	٣٧	١٨	٧	٢٩	٢	١٣	٣٦	٥٤
سبت	٤	١٥	١٨٩	٣٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٨	٧	٢٨	٢	١٣	٣٧	٥٥
احد	٥	١٦	١٩٠	٢٨	٤٨	٢٤	٣٦	١٨	٦	٢٧	٢	١٤	٣٨	٥٦
اثنين	٦	١٧	١٩١	٢٧	٤٦	٢٣	٣٦	١٨	٥	٢٦	٢	١٤	٣٩	٥٧
ثلاثاء	٧	١٨	١٩٢	٢٦	٤٥	٢٣	٣٦	١٨	٤	٢٥	٢	١٥	٣٩	٥٧
اربعاء	٨	١٩	١٩٣	٢٤	٤٣	٢٢	٣٥	١٨	٣	٢٤	٢	١٥	٤٠	٥٨
خميس	٩	٢٠	١٩٤	٢٢	٤٢	٢١	٣٥	١٨	٣	٢٣	٢	١٦	٤١	٥٩
جمعة	١٠	٢١	١٩٥	٢٠	٤٠	٢٠	٣٥	١٨	٢	٢٢	٢	١٦	٤٢	٥٩
سبت	١١	٢٢	١٩٦	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٨	١	٢١	٢	١٦	٤٣	٧ ٠٠
احد	١٢	٢٣	١٩٧	١٧	٣٧	١٩	٣٤	١٧	٠٠	٢٠	١	١٧	٤٣	٠٠
اثنين	١٣	٢٤	١٩٨	١٥	٣٥	١٨	٣٣	١٧	٥٩ ٤	١٩	١	١٧	٤٤	١
ثلاثاء	١٤	٢٥	١٩٩	١٤	٣٤	١٧	٣٣	١٧	٥٨	١٨	١	١٧	٤٤	١
اربعاء	١٥	٢٦	٢٠٠	١٢	٣٢	١٦	٣٣	١٧	٥٧	١٧	١	١٨	٤٥	٢
خميس	١٦	٢٧	٢٠١	١١	٣١	١٦	٣٢	١٧	٥٦	١٦	١	١٨	٤٥	٢
جمعة	١٧	٢٨	٢٠٢	٩	٢٩	١٥	٣٢	١٧	٥٥	١٥	١	١٨	٤٦	٣
سبت	١٨	مارس	٢٠٣	٧	٢٧	١٤	٣٢	١٧	٥٤	١٤	٠٠	١٨	٤٧	٤
احد	١٩	٢	٢٠٤	٦	٢٥	١٣	٣١	١٧	٥٣	١٣	٠٠	١٩	٤٧	٤
اثنين	٢٠	٣	٢٠٥	٤	٢٣	١٢	٣١	١٧	٥٢	١٢	٠٠	١٩	٤٨	٥
ثلاثاء	٢١	٤	٢٠٦	٢	٢١	١١	٣١	١٧	٥١	١١	٠٠	١٩	٤٩	٦
اربعاء	٢٢	٥	٢٠٧	١	٢٠	١٠	٣٠	١٧	٥٠	١٠	٠٠	١٩	٤٩	٦
خميس	٢٣	٦	٢٠٨	١٠٥٩	١٨	٩	٣٠	١٧	٤٩	٩	١١٥٩	٢٠	٥٠	٧
جمعة	٢٤	٧	٢٠٩	٥٧	١٦	٨	٣٠	١٧	٤٨	٨	٥٩	٢٠	٥١	٨
سبت	٢٥	٨	٢١٠	٥٦	١٥	٨	٢٩	١٧	٤٧	٧	٥٩	٢٠	٥١	٨
احد	٢٦	٩	٢١١	٥٤	١٣	٧	٢٩	١٧	٤٦	٦	٥٩	٢٠	٥٢	٩
اثنين	٢٧	١٠	٢١٢	٥٢	١١	٦	٢٨	١٧	٤٥	٥	٥٨	٢١	٥٣	١٠
ثلاثاء	٢٨	١١	٢١٣	٥١	١٠	٥	٢٨	١٧	٤٤	٤	٥٨	٢١	٥٣	١٠
اربعاء	٢٩	١١	٢١٤	٤٩	٨	٤	٢٧	١٧	٤٣	٣	٥٨	٢١	٥٤	١١
خميس	٣٠	١٣	٢١٥	٤٨	٧	٤	٢٧	١٧	٤٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١١

« إلى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـ ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز ـ ص.ب : (٢٨٠) .

المغرب : الدار البيضاء ـ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـ ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام ـ مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة ـ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
● لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما

مطابع مؤسسة عبد المرزوق الصحفية ـ الكويت